بسم الله الرحمن الرحيم

((المهدي من العترة))

عن أم سلمة رضيَ الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**)(1).

قال الخطابي: عترة الرجل: هم أخص أقاربه. والمهدي عليه السلام من أولاد فاطمة عليها السلام، ومِنْ: للتبعيض.

وقال الأزهري: "رُوِيَ عَن النَّبِي ﷺ أَنَّه قَالَ فِي مَرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ: (**إِنِّي تاركٌ فِيكُم الثَّقَلَين: كتابَ الله وعِترَتي، وَلنْ يفترقا حَتَّى يرِدَا عليَّ الحوضَ**)، فسَّر النبيُّ ﷺ الثَّقَلين فجعلهما كتاب الله جلّ وعزّ وعِترته عَلَيْهِ السَّلام؛ وَقد فسّرت العِتْرة فِيمَا تقدّم وهم جماعةُ عشيرته الأدْنَوْن. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن يحيى: سُمِّيا ثَقَلين لأنَّ الأَخْذ بهما ثقيل، والعَمَل بهما ثقيل. وأصل الثَّقَل أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثَقَل"(2).

عترة الرسول ﷺ

هم أخص أقاربه من آل البيت، وأخص أقاربه هم من ذُكِروا في حديث الكساء.

حديث الكساء:

حديث الكساء جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رضيَ الله عنها، وكذلك من حديث صفية بنت شيبة قالت: **خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**(3).

---

(1) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(2) تهذيب اللغة، محمّد الأزهري.

(3) [الأحزاب: 33]

وفي رواية المسند لأحمد بن حنبل؛ عن أم سلمة أن النبي ﷺ: **أخرج يده فألوى بها السماء ثم قال: (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي (وخاصتي)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم إن هؤلاء أهل بيتي (وخاصتي)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)** قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: (**إنك إلى خير إنك إلى خير**). وفي رواية: (**أنت على مكانك، وأنت على خير**).

إذن .. عترة الرسول ﷺ هم أخص آل البيت (أهل بيته)، وهم: (علي وفاطمة والحسن والحسين)، وذريتهما ومنهم الإمام المهدي عليه السلام.

ومن الحديث السابق عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**)[1]، وقد جاءت أحاديث عدة في هذا الباب منها ما صرح بذكر اسم المهدي ومنها ما لم يصرح بالاسم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**)، أَوْ قَالَ: (**مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً**)[2]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (**تُمْلَأُ الْأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي، يَمْلِكُ سَبْعاً أَوْ تِسْعاً، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً**)[3].

من هم آل البيت؟!

آل البيت هم آل محمّد ﷺ، وهم من تحرم عليهم الصدقة.

- أخرج مسلم وأحمد عن المطلب أن ربيعة عن رسول الله ﷺ قال: (**إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمّد ولا آل محمّد**).

---

(1) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(2) رواه أبي بعلى بسند صحيح.

(3) رواه أحمد بسند صحيح.

- وأخرج ابن سعد عن الحسن عن النبي ﷺ: (**إن الله حرم علي الصدقة وعلى أهل بيتي**).
- وروى أحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم رضيَ الله عنه قال: قام ﷺ يوماً خطيباً فينا بماءٍ يُدعَى خُمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: (**أما بعد ألا يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به** -فحث على كتاب الله يرغب فيه-، قال: **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**). فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: أكُلّ هؤلاء حُرِمُ الصدقة؟! قال: نعم.
- وأما الموالي فلِما جاء عن مهران مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنا آل محمّد لا تحلُ لنا الصدقة؛ ومولى القوم منهم**)[1].

إذن .. آل بيت النبي ﷺ هم: أزواجه، وذريته، وبنو هاشم، وبنو المطلب، ومواليهم. ومنهم من نال شرف الانتماء اللفظي إلى آل البيت كسلمان الفارسي، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (**سلمان منا أهل البيت**)[2].

معنى لفظ الآل

ووقع الخلاف في معنى لفظ (الآل) في الصلاة الإبراهيمية: (اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) هل يقصد بآل محمّد: الخواص كالعترة، أم آل محمّد الذين حرمت عليهم الصدقة؟، أم يقصد الزوجات؟، أم يقصد كل الصالحين من الأمة؟

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرك.

أقول: إنّ آل محمّد قِيست على آل إبراهيم. فإن كان آلُ إبراهيم هم الأنبياء؛ فإن آل محمّد هم الأئمة، لقول الرسول ﷺ: **(علي مني كمنزلة هارون من موسى؛ إلا أنه لا نبي بعدي)**[1].

ماهي هذه المنزلة؟

المنزلة هي الإمامة لأن الأنبياء هم أئمة إلا أنه يوحى إليهم.

قال الله لإبراهيم عليه السلام: **﴿إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[2]، فالإمامة في إبراهيم والصالحين من ذريته من فرع ابنه إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. إمامتهم نبوة، فهم أنبياء يوحى إليهم، ومن فرع ابنه إسماعيل -وهو نبي- كان ابنه محمّد ﷺ، ومن محمّد كان أئمة العترة من آل البيت كالإمام علي؛ إمامٌ إلا أنه لا يوحى إليه، وكذلك ذريته فإنهم أئمة.

ولذلك قال الله تعالى: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**[3]، قال رسول الله ﷺ: **(تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي ...إلخ)**..

ومنهم -أي بعضهم- أي بعض العترة يكونون أئمة فيلحقهم ما يلحق بني عمومتهم من بني إسرائيل، فلم يكونوا كلهم أنبياء وإنما بعضهم، وكان جميع الأنبياء من نسل إسحاق عليه السلام إلا محمّداً ﷺ، فإنه من نسل الفرع الثاني -إسماعيل عليه السلام- وكان سيدهم وخاتم الأنبياء.

فكذلك أئمة العترة المشهورين؛ فإنهم كلهم من أبناء الفرع الأول الحسين عليه السلام، ولكن الإمام الخاتم وسيد الأئمة الإمام المهدي عليه السلام؛ فإن أغلب الأحاديث تثبت أنه من أبناء الفرع الثاني؛ الحسن عليه السلام.

---

(1) رواه الشيخان.

(2) [البقرة: 124]

(3) [السجدة: 24]

تشابه عجيب

ومن عجيب التشابه:

- أن إسماعيل هو الابن الأكبر وهو جد خاتم النبيين؛ محمّد ﷺ، وكذلك الحسن هو الابن الأكبر؛ وهو جد خاتم الأئمة الإمام المهدي عليه السلام.
- وجدُّ جميع الأنبياء من الابن الأصغر؛ إسحاق، فكذلك جدّ جميع الأئمة من الابن الأصغر؛ الحسين عليه السلام.
- جد خاتم النبيين محمّد ﷺ هو إسماعيل؛ قال الله عنه: **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾**[1]، فبسبب حلمه أتى من ذريته صاحب الصفات العالية العظيمة محمّد ﷺ، قال الله عنه: **﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾**[2]، فكان الأقدر على القيادة والخاتمة الشاملة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**كان الأنبياء يبعثون إلى قومهم خاصة وبعثت إلى الناس كافة**)، وقال: (**أنا خاتم النبيين**).
- وجدُّ خاتم الأئمة الإمام المهدي عليه السلام وهو الحسن يقول عنه الرسول ﷺ: (**أما الحسن فانحله الهيبة والحلم**، -ورواية: **هيبتي وسؤددي**-، **وأما الحسين فانحله الجود والرحمة**) ورواية: (**فله جرأتي وجودي**)، فبسبب حلم الحسن أتى من ذريته صاحب الصفات العظيمة المشابهة لجده رسول الله ﷺ، قال عنه: (**خلقه كخلقي**)، (**يشبهني خُلُقاً ولا يشبهني خلقاً**)، فكان الإمام المهدي هو الأقدر على القيادة الخاتمة الشاملة، (**أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس**)، (**فتعود إلى الناس ألفتهم وخاصتهم وبزارتهم**)، (**يملك الأرض ... الخ**)، (**يملك الناس... الخ**) (**وسيملكها خامس من أمتي وهو المهدي**)، في السنن الواردة في الفتن يقول: (**والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لختم الله بنا هذا الأمر، كما فتحه**)، وقال: (**بنا فُتح هذا الأمر، وبنا يُختم**) فخاتم الأنبياء محمّد ﷺ، وخاتم الأئمة محمّد عليه السلام.

---

(1) [الصافات: 100]

(2) [القلم: 4]

- حتىٰ الفتنة في هذا الباب! فكان بنو إسرائيل يظنون أن النبي الأخير منهم ويبشرون به مسابقةً إليه. وكذلك أتباع الحسين يظنون أن الإمام الأخير من ذرية الحسين، ويبشرون به، حتىٰ قالوا بولادة محمّد بن الحسن العسكري وغيبته مسابقةً بمهديته.
- حتىٰ النهاية في آخر الزمان في الأرض والقيادة! فالمتعصبون من بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا بالنبي ويريدون نبياً غيره من بني إسرائيل بن إسحاق؛ يخرجون مع الدجال من يهودية أصفهان، وهم اليوم يسكنون يهودية أصفهان. كما أن من سيكذبون المهدي من المتعصبين إلىٰ ذرية الحسين سيخرجون مع الدجال من أصبهان من أرض المشرق. وهم اليوم يسكنون تلك الأرض.
- حتىٰ أعلم الناس بالنبي كانوا هم بنو إسرائيل، وكذلك أعلم الناس بالمهدي هم أتباع الحسين عليه السلام.

أئمة العترة الذين عاشوا مع الرسول ﷺ

1. الإمام علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه.
2. الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه.
3. الإمام الحسين علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه.

أئمة العترة المشهورين من أبناء الحسين عليه السلام:

هؤلاء الأئمة هم من أهل الحكمة والعلم، والعمل والمنزلة الرفيعة ولهم احترام كبير وتقدير عند المسلمين جميعاً وذلك لعلمهم ومواقفهم وأفعالهم المشرقة، قُتل هؤلاء الأئمة علىٰ يد حكام الدولتين الأموية والعباسية الذين عاصروهم. وهم:

4. علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، السم من قبل الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم.
5. محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، السم من قبل إبراهيم بن الوليد أو هشام بن عبدالملك أيام خلافته.

6. جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم من قبل المنصور الدوانيقي في أيام خلافة المنصور.
7. موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم من قبل هارون الرشيد بعد أن قضى عمره في سجونه.
8. علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم من قبل المأمون بن هارون الرشيد.
9. محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم على يد زوجته أم الفضل بأمر من المعتصم العباسي أيام خلافته.
10. علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم من قبل المعتز العباسي أيام خلافته.
11. الحسن بن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، السم من قبل المعتمد العباسي أيام خلافته.
12. زيد بن علي بن الحسين، قتل على يد أتباع هشام بن عبدالملك.

معنى الإمامة

هي مقام ومنزلة تشبه مقامات الأنبياء؛ إلا أنه لا وحي فيها، وفيها من الأعمال والعلم والإلهام وإذهاب الرجس والتطهير، وشاهدها قوله ﷺ: **(علي مني كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)**[1].

قال الله عن هارون: **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي (29) هارون أخي (30) اشدد به أزري (31) وأشركه في أمري (32)﴾**[2].

---

(1) رواه الشيخان.

(2) [طه: 29-32]

إذن القاعدة: **كل نبي إمام وليس كل إمام نبي.**

قال تعالى عن إبراهيم: **﴿إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[1].

دور الإمام في الناس

والإمامة هي ولاية شرعية تشمل التصرف في أمور المؤمنين في الأمور الدنيوية والدينية وإرشادهم وتوجيههم الدنيا والدين.

والولاية هذه هي مرجعية تشابه مرجعية الأنبياء في بني إسرائيل قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء)**[2].

ومعنى ذلك: التصرف في أحوالهم الدينية والدنيوية وعليها الإمامة فالولاية سياسة شرعية ومرجعية دينية ودنيوية، لكن لا تعني الولاية الملك كما أن النبوة ليست هي الملك، واسمع إلى قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً...﴾**[3].

فلو كانت النبوة هي الملك لما طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً!

وأحياناً النبي يكون ملكاً، كقوله تعالى: **﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾**[4]، وكذلك النبي سليمان: **﴿قال رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾**[5]، وكذلك النبي يوسف: **﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾**[6]، أي اعطني الوزارة، فأصبح عزيز مصر: **﴿قالوا يا أيها العزيز﴾**[7].

---

(1) [البقرة: 124]

(2) متفق عليه.

(3) [البقرة: 246]

(4) [البقرة: 251]

(5) [ص: 35]

(6) [يوسف: 55]

(7) [يوسف: 78]

وكذلك مقام الإمامة والولاية لا يعني الملك ولكن ربما يكون الإمام والولي ملكاً كحال الإمام علي بعد عثمان كان خليفة المسلمين.

دراسة حديث الولاية

ومن هنا نستنتج أن الذين فهموا من حديث غدير خم الذي رواه مسلم وأحمد الترمذي والنسائي عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل بغَدِيرِ خُم أَمَر بِدَوْحَاتٍ فقُمِّمْنَ، ثم قال: **(كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.** ثم قال: **إن الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن.** ثم أخذ بيد علي رضيَ الله عنه فقال: **من كنت وليه فهذا وليه اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه)**. فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحدٌ إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه[1].

وفي رواية من حديث علي رضيَ الله عنه: **(وانصر من نصره واخذل من خذله)**، ومثله قول عمر لعلي: (أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة).

دراسة حديث الولاية:

1. **(كأني فرط على الحوض فأرى أناساً من أمتي يُذادون عن الحوض فأقول: رب أمتي .. أمتي، فيقول: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك لقد غيروا وبدلوا. فأقول: سحقاً .. سحقاً)**.

قال محمّد ناصر الدين الألباني: وللحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في (المجمع) وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جداً. ويقول: إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنني رأيت ابن تيمية قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر، فزعم أنه كذب!

(1) رواه مسلم وأحمد الترمذي والنسائي.

وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها والله المستعان.

2. تَرِكة رسول الله ﷺ أي ميراثه:

وقد ورث الثقلين. وثِقَل الشيء أعظَمُه، والحِمْل العظيم منه، تقول: أثْقَلَتِ المرأة، أي: حَمَلَت. قال تعالى: ﴿**فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً**﴾[1]، وتقول: أثقله القوم أي غلبه، وسمي الإنس والجن ثقلين لتحملهم التكاليف. وترك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم شيء وأثقله وهو الكتاب والعترة كما ورد في الحديث السابق.

3. كل واحدٍ منهما ثِقَل قائم بذاته، فكتاب الله ثقل بالأوامر والنواهي والأحكام. وعترة آل البيت ثقل بالنقل عن جدهم رسول الله ﷺ، لقربهم منه وهم ألصق الناس به، وثقل بالأفهام الصحيحة والآراء القويمة وتزكية النفوس الطاهرة من الأرجاس. وثقل بالأئمة الأطهار، وثقل بمودة القربى.

عن ابن عباس رضيَ الله عنه قال: لما نزلت: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾[2]، قالوا: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: (**علي وفاطمة وابناهما**)[3]. والعترة: ثِقل لاختلاف الناس عليهم بين مفرط وغال، فيهلكون فيهم!.

(**يا علي هلك فيك اثنان محب غال، ومبغض قال**)، وقول الإمام علي على المنبر: (اللهم العن كل مبغضٍ لنا غال وكل محب لنا قال)[4].

4. لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض؛ دل على لزومهما فهما متلازمان، فالكتاب منهج تشريع والعترة قيادة ومرجعية، وهو رد على من احتمل مخالفة العترة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه إشارة للاستمرارية وعدم خلو الزمان من أئمة العترة سواءً كانوا

(1) [الأعراف: 189]

(2) [الشورى: 23]

(3) رواه الطبراني في المعجم الصغير والهيثمي في مجمع الزوائد والفيروز أبادي في كتاب الفضائل الخمسة.

(4) ابن أبي شيبه.

أئمة مشهورين ولهم أتباع يظهرونهم ويناصرونهم ويظهرون أمرهم وعلومهم أم غير مشهورين مثلهم، في ذلك كمثل حال الرسل: **﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾**(1)، فكما أنه واجب علينا الإيمان بتعيين الرسُل الذين قصهم الله علينا وحددهم بأسمائهم، ونؤمن بمجملهم، حتى من لم يقص الله علينا خبرهم.

فكذلك الأئمة .. أئمة العترة الطاهرة نقتدي بمن ظهر منهم واشتهر علمه وإمامته ونؤمن بمجملهم وأن زماناً لا يخلو منهم، وأنهم لا يفارقون الكتاب، لأن لفظة **(لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)** تدل على الاستمرارية.

وحال الأئمة مع أتباعهم كحال الأنبياء مع أتباعهم، قال تعالى: **﴿يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم﴾**(2).

(يأتي النبي يوم القيامة ومعه الأُمَّة والنبي ومعه الرهط والنبي ومعه ثلاثة والنبي ومعه اثنين والنبي ومعه واحد والنبي وليس معه أحد يبعث أمة وحده).

وربما يكون هناك فتره للأئمة كما كان هناك فترة للرسل(3).

5. حتى يردا علي الحوض، ومناسبة ذكر الحوض: أن الحوض هو مبلغ من اتبع أو خالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ عترة آل البيت، وعنده **﴿تبلى السرائر﴾**(4) وينكشف من خالفوا وصية رسول الله ﷺ، يبين ذلك (حديث الحوض) وهذه بعض الروايات بألفاظها المختلفة:

الصحابة عند الحوض

1. عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: **(إني فَرَطُكم على الحوض، من مَر عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني**

(1) [غافر: 78]

(2) [الإسراء: 71]

(3) ورد في كتاب الغيبة أن هناك فترة من الأئمة بين المهدي والأئمة.

(4) [الطارق: 9]

وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً، لمن غير بعدي)[1].

2. عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **(ليردن علي الحوض رجالٌ ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورُفعُوا إليّ اختُلِجُوا دُوني فلأقولن: أي رب أصيحابي، أصيحابي. فليُقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)**. وفي رواية: **(أي ربّ أصحابي يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)**[2].

دراسة الحديث:

أما هاتين الروايتين فإنهما تتكلمان عمن كانوا في عهده وفي أصحابه أي في أصحاب رسول الله ﷺ فإذا وردوا عليه الحوض أُبعدوا بسبب إحداثهم.

تعريف الصحابي: هو من أدرك الرسول ﷺ ورآه وآمن به، وصدقه، ومات الرسول ﷺ وهو عنه راضٍ، ولم يغير بعده أو يحدث حتى مات. وهم ثلاثة أصناف: المهاجرون، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان. وقد رضيَ الله عنهم ورضوا عنه.

قال تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضيَ الله عنهم ورضوا عنه﴾**[3]، وقال: **﴿لقد رضيَ الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾**[4].

وأُمرنا بحبهم فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، قال ﷺ: **(آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)**[5]. ولا نسبهم ولا نهمزهم ولا نغمزهم ولا ننتقصهم، قال

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) [التوبة: 100]

(4) [الفتح: 18]

(5) متفق عليه.

ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه)**[1].

عند التأمل في حديث الحوض السابق نجد أن الكلام قد انحصر في مجموعات ترد حوض النبي ﷺ لتشرب منه، فتردهم الملائكة ويناديهم النبي ﷺ بألفاظ هي **(أصيحابي)**، **(أصحابي)**، فهل يكون في أصحابه من ترده الملائكة عن الشرب من حوضه وتكون هذه الألفاظ للصحبة اللغوية؟ ومن هي تلك الطوائف؟

المبدلون من الصحابة

1- الصنف الأول:

مرتدون عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وكانوا أسلموا في حياته ورأوه وهم على الإسلام، أو ارتدوا آخر حياته ولم يكن يعلم بكفرهم.

2- الصنف الثاني:

أهل النفاق ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر. قال تعالى: **﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾**[2]. وقال: **﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾**[3]. وآيات النفاق في القرآن كثيرة يزخر بها القرآن، وتعري أعمالهم ونواياهم -لسنا بصددها الآن- وإنما نحن بصدد لفظة الصحابة في الحديث، وكيف تكون صيغة الطرح والسؤال:

هل نقول: " من أصحاب رسول الله ﷺ من يُذاد عن الحوض ويدخل النار "؟

أم نقول: " في أصحاب رسول الله ﷺ من يُذاد عن الحوض "؟

- حدثنا شعبة بن الحجاج عن قتادة عن أبي نظرة عن قيس قال: قلت لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليٍّ؟ أرأياً رأيتموه أو شيئاً عَهِدَهُ إليكم رسول الله صلى الله

---

(1) متفق عليه.

(2) [التوبة: 101]

(3) [محمّد: 30]

عليه وآله وسلم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (**في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط، ثمانيةٌ منهم تكفيكهم الدُّبيلة، وأربعةٌ**) لم أحفظ ما قاله شعبةُ فيهم[1].

الدبيلة: خُراَج ودمل، -صنفور- كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها.

يفهم من هذا الحديث:

1- أن عمار بن ياسر كان مع الإمام علي بن أبي طالب في زمن الفتنة ويقاتل معه فقد ورد في مسند حذيفة بن اليمان رضيَ الله عنه، عن قيس بن عباد قال: قلنا لعمار: (أرأيت قتالكم؟ أرأياً رأيتموه؟) أي: أهذا اجتهاد منكم؟ فإن الرأي يخطئ ويصيب.

وقال الرسول ﷺ: (**عمار تقتله الفئة الباغية**)[2].

وعمار كان مع علي مما يدل أن علياً كان على الحق، والذين قاتلوه كانوا بُغاةً، وقول علي عليه السلام: (إخواننا بغوا علينا).

2- بما أن الحديث كان يتكلم من بدايته عن قتال الإمام علي فإن عمار نقل عن حذيفة: في أصحاب رسول الله ﷺ منافقون. فحتماً عمار كان يقصد هؤلاء المنافقين هم الذين قاتلوا الإمام علياً عليه السلام -عندما قاتل بعضهم الإمام علي-.

3- الصحيح أن نقول (في أصحابي) كما ورد في الحديث ولا نقول (من أصحابي).

ولفظة (في) أي ينسبون إلى صحبتي.

والحرف (في) من الحروف العوامل، أي في الوعاء.

يقال: المال في الكيس، واللص في السجن. أي اشتمل الكيس على المال، والسجن على اللص.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين.

(2) رواه البخاري.

والحرف (من) من الحروف العوامل أيضاً ومن معانيها أن تكون للتبعيض، وذلك نحو قولك: لبست من الثياب ثوباً، وقبضت من الدراهم درهماً. أي لبست بعض الثياب، وقبضت بعض الدراهم.

فقوله ﷺ: **(في أصحابي)** لا يعني أن المنافقين بعض أصحابه، وإنما يعني الظرفية أي اشتمل الموجودون من أصحابه على المنافقين المذكورين.

إن لفظ الصحبة في هذا الحديث وأمثاله لا يقصد بها الصحبة بالمعنى الاصطلاحي وإنما يراد بها الصحبة بمعناها اللغوي أي مجرد الدعوى.

ومما يدل على دخول المنافقين في اسم (أصحابي) قوله ﷺ وهو يتحدث عن رأس النفاق عبدالله بن أُبَي بن سلول: **(لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه)**[1].

وهذا معنى لغوي بحت للصحبة، وليس أنهم استحقوا شرفها.

3- الصنف الثالث:

الذين أحدثوا وغيروا في العقائد لا الأعمال كمثل من يسب الصحابة فقد ورد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)**[2].

وروى مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: (يا ابن أختي[3] أمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم)[4] وفي رواية: (لأصحاب محمّد ﷺ)[5]. قال القاضي عياض: الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام في علي ما قالوا، والحرورية[6] في الجميع ما قالوا.

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

(3) تقصد عروة بن الزبير، فأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق.

(4) رواه مسلم.

(5) لابن أبي شيبة.

(6) إحدى فرق الخوارج.

– أخرج ابن مردويه عن ابن عمر (أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه: **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾**[1]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: **﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**[2]، ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ: **﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾**[3]، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو. قال: لا .. ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء. وفي رواية: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

❋ من سب أصحاب رسول الله فليس منهم وليس ممن اتبع بإحسان ❋

روى مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسُبَّهُ، لأن تكون لي واحدةٌ منهن أحبُّ إليَّ مِنْ حُمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له، خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: **(أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي)**، وسمعته يقول يوم خيبر: **(لأعطين الراية رجلاً يُحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)**، قال فتطاولنا لها، فقال: **(ادعوا لي علياً)** فأُتي به أرمد فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾**[4]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: **(اللهم هؤلاء أهلي)**.

(أبا تراب) هي كنية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يحب أن يدعى بها.

---

(1) [الحشر: 8]

(2) [الحشر: 9]

(3) [الحشر: 10]

(4) [آل عمران: 61]

وفي رواية: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟ قال: فقال: لا أسب ما ذكرت ثلاثاً ... الحديث نحو السابق)، وفي آخره: (فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة)[1].

دراسة الحديث:

1. قوله لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فقد فهمنا من خلال الحديث أن هذا الرجل هو الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه، إذاً فهو أولى الناس بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**﴾[2]، فالإمام علي وآل بيته ومن معه من المؤمنين هم الذين يأتي الله بهم لأنهم يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسولُه، وفي آخر الآية دلالة وصلة بقول سعد رضيَ الله عنه أنه تمنى أن تكون له واحدة منها، فهذا هو فضل من الله اختص به من يشاء من عباده. وإعطاء الراية للإمام علي من أجل الجهاد وهو معنى قوله: ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾.

ومن ذريته الإمام المهدي؛ جاء في الحديث أنه يحبه أهل السماء وأهل الأرض، ويجاهد هو ومن معه في آخر الزمان الدجال، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من كذبهم، حتى يأتي وعد الله –أو أمر الله– وهو نزول عيسى عليه السلام، كما قال بعض أهل العلم: ومما يدل على أن أحق الناس بهذه الآية هو الإمام علي عليه السلام؛ الآية التي تليها، قوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[3]، قيل نزلت هذه الآية في الإمام علي عليه السلام عندما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم يصلي، فإذا سائل قال: (**يا سائل أأعطاك أحد شيئاً؟**) فقال: لا، إلا هذا الراكع –لعلي–، أعطاني خاتماً.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

(2) [المائدة: 54]

(3) [المائدة: 55]

وقيل أنه قال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد. وكان علي راكعاً فأشار إليه بيده وفيها خاتم فأخذ الخاتم من يد علي. والحديث ضعيف، إلا أن الولاية التي ذكرت في أول الآية هي لله ورسوله والمؤمنين وأولى المؤمنين بالولاية هو الإمام علي لقول رسول الله ﷺ: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[1].

وقد نزلت هذه الآية في أهل اليمن وهم قوم أبي موسى الأشعري، عن عياض الأشعري رضيَ الله عنه قال لما نزل قول الله تعالى: ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله ﷺ: **(هم قومك يا أبا موسى وأشار بيده إليه)**[2].

وهذا يدل على أن أهل اليمن هم من سيأتي الله بهم في آخر الزمان مع الإمام المهدي عليه السلام بسبب حبهم لله ورسوله والمؤمنين، ومنهم إمام المؤمنين الإمام علي وعترته الطاهرة.

2. لما خلف الرسول ﷺ الإمام علي عليه السلام في بعض مغازيه، فإن ذلك يشبه موسى عليه السلام عندما خلف أخاه هارون عليه السلام لما ذهب لموعد ربه.

بمعنى أن علياً وزير لرسول الله وهادي للأمة إلى الحق، وعصمة من الضلالة وتابع لرسول الله ﷺ. وهذا هو مقام هارون من موسى قال تعالى: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً**﴾[3].

ولما ذهب موسى لميقات ربه وأتى الموعد اتخذ قومه العجل فرجع إلى قومه غضبان أسفا، قال: ﴿**يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن**﴾[4]، فدل على أن هارون عصمة لهم من الضلالة لو اتبعوه في متابعة موسى، فكذلك هو وزير لأخيه موسى قال تعالى: ﴿**وقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**﴾[5].

---

(1) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(2) رواه الحاكم.

(3) [طه: 33]

(4) [طه: 92-93]

(5) [طه: 90]

وأما فقه الحديث من ناحية سب الصحابة وعلى رأسهم سب رأس العترة وإمامها وصاحب رسول الله ﷺ وابن عمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراء، قال القرطبي: وقول معاوية لسعد بن أبي وقاص: (ما منعك أن تسب أبا تراب؟) يدل: على أن مُقَدمٌ بني أمية كانوا يسبون علياً وينتقصونه، وذلك كان منهم لما وقر في أنفسهم من أنه أعان على قتل عثمان، وأنه أسلمه لمن قتله، بناءً منهم على أنه كان بالمدينة وأنه كان متمكناً من نصرته، وكل ذلك ظن كذب وتأويل باطل غطى التعصب منه وجه الحق. أ.هـ.[1].

- وقال حسن بن فرحان المالكي: فهذا صحيح مسلم يفسر رواية البخاري بأن والي المدينة وهو مروان بن الحكم، في زمن معاوية كان يسب ويأمر بسب علي على المنابر هذه حقيقة تاريخية ثابتة![2]
- وقال: وقد سألت شيخنا العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز – حفظه الله – عن هذه الرواية في مسلم، وهل تدل على أن بني أمية كانوا يسبون علياً؟! فقال: "هذا ليس بعيداً عن مروان وغيره، وهذه من الزلات نسأل الله العافية". أ.هـ. [3]

  أقول: وقوله: (حفظه الله)؛ يدل على أنه كتبه وقت حياته.
- قال موسى شاهين لاشين: "ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء، فيقول: قال العلماء الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها، قالوا ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعاً؟ أو خوفاً؟ أو غير ذلك؟ فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً كان في طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار عليهم، فسأله هذا السؤال، قالوا: ويَحتمِل تأويلاً آخر، أن معناه: ما منعك أن تُخَطِّئَه في رأيه واجتهاده؟ وتُظهِر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ. وهذا تأويل

---

(1) "المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، للقرطبي.

(2) في "نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي"، صفحة 22.

(3) في "نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي"، صفحة 22.

واضح التعسف والبعد، والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي، وهو غير معصوم، فهو يخطئ، ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ، وسب علي في عهد معاوية صريح في روايتنا. أ.هـ"[1]. أي روايات أهل السنة والجماعة.

أقول رداً على النووي: أنه بتأويله هذا انتقص الصحابي سعد بن أبي وقاص وجعله يجالس من يسبون الإمام علي ولا ينكر عليهم خوفاً منهم مع أن سعد كان يرد على معاوية وهو والٍ في تلك الفترة، فانتقص النووي سعداً على حساب الدفاع عن معاوية وهذا باطلٌ، فقد أراد أن ينجوا من الكلام على معاوية فوقع في سعد، فاتهمه بما ليس فيه، وهو بهت لصحابي جليل ليبرئ معاوية مما ثبت ووقع فيه من سب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي، فبتأويله هذا اتهم البريء وبرّأ المتهم، فليتق الله أمثال هؤلاء في علمهم وتأويلاتهم التي جرَّت على الأمة الويلات.

- وهذه رواية في صحيح البخاري كما في فتح الباري، حديث (عن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلاً دعا سهل بن سعد فقال: هذا فلان أمير المدينة يدعوه علياً عند المنبر.. الحديث) وفسر ابن حجر هذا القول برواية أخرى عند الطبراني من وجه آخر عن عبدالعزيز نفسه، وهي (يدعوك لتسب علياً)!

روى مسلم، عن سهل بن سعد، قال: استُعمِل على المدينة رجلٌ من آل مروان قال: فدعا سهلَ بن سعد فأمره أن يشتم علياً، قال: فأبى سهل. فقال له: أما إذ أبيت، فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهلٌ: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دُعي بها...).

فهذه الأحاديث تبين أنهم فعلوا ذلك ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا ينكرون على بني أمية ويمتنعون.

ذكر السيوطي[1]، وقال غيره: كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب في الخطبة فلما وليَ عمر بن عبدالعزيز أبطله، وكتب إلى نوابه بإبطاله وقر مكانه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل**

(1) "فتح المنعم شرح صحيح مسلم".

والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾(2)، فاستمرت قراءتها إلىٰ الآن في الخطب.

وذكر الزمخشري في تفسيره الآية ذكره **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...﴾** الآية، قال: والفواحش: (ما جاوز حدود الله **﴿والمنكر﴾** ما تنكره العقول **﴿والبغي﴾** طلب التطاول بالظلم، وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أقيمت هذه الآية مقامها. ولعمري أنها كانت فاحشةً ومنكراً وبغياً، ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالاً وخزياً إجابة لدعوة نبيه: **(وعادِ من عاداه)** أ.هـ.

قال ابن حزم في المحلىٰ: (روينا من طريق سفيان الثوري عن مجالد قال: رأيت الشعبي وأبا بردة بن أبي موسىٰ الأشعري يتكلمان والحجاج يخطب حين قال: لعن الله .. ولعن الله.. فقلت: أتتكلمان في الخطبة؟! فقالا: لم نؤمر بأن ننصت لهذا..). قال ابن حزم: كان الحجاج وخطباؤه يلعنون علياً وابن الزبير رضيَ الله عنهما. أ.هـ.

وفي مسند أحمد: عن عبدالرحمن بن الأخنس قال: (خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي رضيَ الله عنه فقام سعيد بن زيد فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن اسمي العاشر..))** أ.هـ.

وفي رواية أخرىٰ: فقال: ألا تعجب من هذا؟! يسب علياً رضيَ الله عنه، أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أنا كنا علىٰ حراء أو أحد، فقال النبي ﷺ: **(أثبت حراء –أو أحد– فإنما عليك صديق أو شهيد، فسمىٰ النبي ﷺ العشرة فسمىٰ أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وسعداً وعبدالرحمن بن عوف وسمىٰ نفسه سعيداً)** أ.هـ.

قال المسعودي في مروج الذهب (ثم ارتقىٰ بهم الأمر في طاعته – أي معاوية – إلىٰ أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير) أ.هـ.

---

(1) كتاب (تاريخ الخلفاء) تعليق محمود رياض الحلبي.

(2) [النحل: 90]

قال ابن حجر في (فتح الباري): ثم اشتد الخطب فتنقصّوه واتخذوا لعنه على المنابر سنة، ووافقتهم الخوارج على بغضه. أ.هـ.

وفي مجمع الزوائد قال: وعن شِهر بن حَوْشب قال: أقام رجال خطباء يسبون علياً حتى كان آخر رجل من الأنصار يقال له أنيس. أ.هـ.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد قال: فأما عمر بن عبدالعزيز رضيَ الله عنه فإنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عُتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ونحن نلعن علياً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وِردي، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة –شبه المعرض عني– حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضيَ عنهم؟! فقلت: يا أبتِ، وهل كان عليٌ من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلا له! فقلت: لا أعود، فقال: ءالله أنك لا تعود؟! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة –وهو حينئذ أمير المدينة–، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدِرُ شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبتِ، أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن علياً! فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما مّن الله عَلَيَّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**[1]، وكتب به إلى الأفاق فصار سنة.

---

(1) [النحل: 90]

وفي تاريخ مدينة دمشق عن حِجْر الـمُدري قال: قال لي علي: كيف بك إذا أُمرت أن تلعنني، قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: فكيف أصنع؟ قال: العن ولا تتبرأ مني. فأقامه محمّد بن يوسف إلىٰ جنب المنبر يوم الجمعة، فقال له: العن علياً، فقال: إن الأمير محمّد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً، العنوه لعنه الله، قال: فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد.

وبمثله نقل ابن حجر في لسان الميزان إلا أن الذي أقيم هو حِجر بن قيس المدري، والذي أقامه أحمد بن إبراهيم خليفة بني أمية في الجامع وقد وُكِّل به ليلعن علياً أو يُقتل.. إلخ. أ.هـ.

وقال الزمخشري في (ربيع الأبرار): إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها علي بن أبي طالب، بما سنه لهم معاوية في ذلك.

وفي معجم البلدان للحموي: لُعِن علي بن أبي طالب علىٰ منابر الشرق والغرب.

قال ابن حجر في فتح الباري: فنجمت طائفة أخرىٰ حاربوه -أي علي بن أبي طالب- ثم اشتد الخطب فتنقصوه واتخذوا لعنه علىٰ المنابر سنة، ووافقهم الخوارج علىٰ بغضه، وزادوا حتىٰ كفروه مضموماً ذلك منهم إلىٰ عثمان، فصار الناس في حق علي ثلاثة: أهل السنة، والمبتدعة من الخوارج، والمحاربين له من بني أمية وأتباعهم. أ.هـ.

حتىٰ كان هذا الأمر ظاهرةً في المجتمع الإسلامي آنذاك، اعترضت عليها أم المؤمنين أم سلمة رضيَ الله عنها. روىٰ أحمد وغيره، قال عبدالله الجدلي: دخلت علىٰ أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟! قلت: معاذ الله -أو سبحان الله أو كلمة نحوها-، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سب علياً فقد سبني)**[1].

وفي رواية: أنها قالت لجمع دخلوا عليها: يا شبيب بن ربعي... يُسَبُّ رسول الله في ناديكم؟! قال: وأنىٰ ذلك؟! قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياءً نريد عرض الدنيا. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سب علياً فقد سبني..)**[2] أ.هـ.

---

(1) رواه أحمد في المسند.

(2) رواه الحاكم في المستدرك.

هل ثبت أن أئمة عترة آل البيت وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لَعنوا أو سَبوا أحداً من الصحابة حتى من اختلفوا معهم؟! أو قاتلوهم؟!

فيعتبر هذا السؤال مهم لأننا سنحتج به فيمن يسبون علياً ومن يسبون أبا بكرٍ ومن يسبون عمر رضيَ الله عنهم، فالبعض يقول أنه مع آل البيت ومتبع لمنهجهم ويستن بسنتهم ويسبون أبا بكر وعمر رضيَ الله عنهما، فنقول له: من وضع هذا المذهب؟! أليسوا هم أئمة العترة، ألا يجب علينا الرجوع إليهم في فَهم التعامل مع تلك الفتن، فننظر هل سبَّ الإمامُ علي أو لَعَنَ؟! وهل سَبَّ الإمامُ الحسنُ أو لَعَنَ؟! وهل سَبَّ الإمامُ الحسينُ أو لَعَنَ؟!

فهل نختلق مذهباً من أهوائنا ثم ننسبه إلى آل البيت بهتاناً وظلماً؟! فأين الاتباع إذاً؟!

قال مقبل بن هادي الوادعي -محدث أهل اليمن-، في الهامش معقباً على الإمام يحيى بن حمزة[1]، في رسالته (الوازعة للمعتدين على سب صحابة سيد المرسلين) التي قال فيها: (وانظر في معاملته أي الإمام علي لمعاوية، وعمرو بن العاص، وأبي الأعور، وأبي موسى الأشعري، فإنه كان يعامل هؤلاء باللعن والتبري منهم)؛ قال مقبل معقباً: (أما اللعن فلم نجده في شيء من كتب السنة المعتمدة بعد البحث الطويل، وأما الدعاء عليهم فقد صح عن الإمام علي بن أبي طالب، قال ابن أبي شيبة: حدثنا هشيم قال: أخبرنا حصين، قال: حدثنا عبدالرحمن بن معقل: قال: صليت مع علي صلاة الغداة، فقنت فقال في قنوته: اللهم عليك بمعاوية وأشياعه وعمرو بن العاص وأشياعه، وأبي الأعور السلمي وأشياعه، وعبدالله بن قيس وأشياعه) قال البيهقي؛ وقد أخرج بعضه: صحيح مشهور وهو كما قال من حيث الصحة فهو على شرط الشيخين. أ.هـ.

الخلاصة:

1. أن سب أصحاب رسول الله ﷺ كبيرة من الكبائر، وأكبر منها سب من اجتمع فيه الصحبة والعترة كالإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام.
2. سب العترة الطاهرة ونصب العداء لهم، ويسمى ذلك بالنَّصْبِ.

(1) من أئمة أهل اليمن.

3. أن الصحابة غير معصومين فهم يقعون في صغائر الذنوب وكبائرها؛ ومما وقعوا فيه سب بعضهم البعض.

4. أول من وقع في سب الصحابة هم الغوغاء الذين أثاروا الفتنة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضيَ الله عنه وسبوه وانتقصوه وكان أغلبهم من مصر، ثم تبعهم بنو أمية ومعهم أهل الشام، فسبوا إمام العترة الطاهرة الإمام علي ولعنوه وانتقصوه وسنوا لعنه على المنابر، وثبت لعنهم له في الصحيحين؛ في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، واستمر لعنهم له ولأهل بيته حتى أتى عمر بن عبدالعزيز؛ فمنع لعنه على المنابر، وخرجت الخوارج الحرورية على الإمام علي فبغضوه وسبوه وسبوا كل الصحابة وكَفَّرُوهُم، ثم تبعهم شيعة الإمام علي عليه السلام، فتفرقوا في سب الأصحاب ما بين غالٍ يسب جمع الصحابة ومُقَصِرٍ على بعضهم، ومنهم من طال كبار أصحاب رسول الله ﷺ ورفضهم كأبي بكرٍ وعمر رضيَ الله عنهما.

وبقيت العترة الطاهرة وأئمتها الأطهار هم سفينة النجاة، ونباريس الظلام، وهداية الأنام، أولي الأفهام المنيرة، والطرق المستقيمة المعتدلة، تأدبوا بأدب جدهم الذي أدبهم به، وورثوا نور نبوته، والطلعة البهية، فهي جبلة في طباعهم سجية، **﴿رحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾**[(1)]، **﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**[(2)]. **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾**[(3)]. **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**[(4)].

فلم يأمر أئمة آل البيت الأطهار بلعن أو سب أحد من الصحابة أو فعلوه حتى لو عاداهم أو قاتلهم ولم ينتقصوا أحداً من كبار الصحابة قدره، ويشهد بذلك أحد كبار أئمة آل البيت الأطهار وهو الإمام زيد عليه السلام، خرج من المدينة إلى العراق بوصية بعض أئمة آل البيت إلى شيعتهم إلى تعديل أهوائهم التي أحدثوها في نهج آل البيت من سب أبي بكر وعمر

---

(1) [هود: 73]

(2) [الرعد: 24]

(3) [الأنبياء: 73]

(4) [السجدة: 24]

وغيرهم، والتبرؤ منهما ودعاهم للخروج معه على بني أمية في عهد هشام بن عبدالملك، فكان يناقشهم ويحاورهم ويدعوهم إلى تعديل أفهامهم، فقالوا للإمام زيد: رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال الإمام زيد عليه السلام: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأُ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً). وفي رواية: (إنهما وزيرا جدي) وفي رواية: (بل أتولاهما). فسبحان الله! انظر إلى أدب العترة وأدب أئمتها، إنه أدب القرآن، قال تعالى: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[1].

صدق رسول الله ﷺ فإنهما (**لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**)، (**إن الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**).

فوجب اتباع أئمة العترة كالإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، واتباع أقوالهم وأفعالهم، واعتماد ردودهم وتقريراتهم، والسكوت لما سكتوا عنه، والدعاء على من دعوا عليه، والسير على قواعد المنهج الذي أصلوه، لننجو في الدنيا والآخرة.

إذن الكتاب والعترة لن يتفرقا حتى يردا الحوض. وهنالك أقوام غيروا وأحدثوا بعد الرسول ﷺ يعرفهم ويعرفونه يفضحون عند الحوض.

هل نستطيع أن نقول هم من تفرقوا عن كتاب الله وسنة نبيه والعترة؟ وهل هم من قاتل العترة؟ وقاتل إمام العترة علي بن أبي طالب؟ ومن سيقاتل ابن العترة مستقبلاً الإمام المهدي؟

انظر إلى هذا الحديث، كأنه يتكلم عن ابن العترة الإمام المهدي عليه السلام ومن معه من الأنصار:

(1) [الحشر: 10]

إخوان النبي ﷺ

من هم إخوان النبي ﷺ؟!

عن أبي هريرة رضيَ الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (**السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وَددِت أنّا قد رأينا إخواننا**)، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله، قال: (**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**)، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: (**أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ محجلةٌ بين ظهري خيل دُهمٍ بُهمٍ، ألا يعرفُ خيله؟!**)، قالوا: بلى يا رسول الله!. قال: (**فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا لَيُذادَنّ رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضال؛ أناديهم؛ ألا هلمّ!. فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، وأقول: سحقاً سحقاً**)(1).

دراسة الحديث:

1. زيارة الرسول ﷺ للقبور ووده لو لقى إخوانه يدل على قرب أجله.
2. أن إخوان الرسول ﷺ هم من جاءوا من بعده وصدقوا بالكتاب والسنة والعترة، والرسول ﷺ ينتظرهم يسبقهم إلى الحوض ويشربهم بيده الشريفة، والذين يوطئون للمهدي سلطانه هم من إخوان الرسول ﷺ الذي تمنى الرسول ﷺ أن يلقاهم ويشربهم من حوضه لأنهم مع الكتاب وابن العترة(2).

وهذا الحديث ينطبق على المهدي وأصحابه والسبب في ذلك أنهم هم الذين يشبهون أصحاب رسول الله ﷺ ويدركون المسيح عيسى ابن مريم، يقول ﷺ: (**ليدركن المسيح أقوام هم مثلكم أو خير منكم**)(3).

وأهل اليمن هم إخوان الرسول ﷺ، لأنه خصصهم بالذكر لعدة أسباب:

---

(1) رواه مسلم.

(2) عن أبي ذر، قال رسول الله ﷺ: (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجى، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان كمن قاتل مع الدجال) رواه البزار، والطبراني.

(3) رواه ابن أبي شيبة.

السبب الأول: أنهم هم أنصار المهدي عليه السلام، كما ورد في عقد الدرر: **(همدان وزراؤه وخولان جيوشه وحمير أعوانه)**، وفي نفس الكتاب: **(يخرج في ثلاثين رجلاً من إحدىٰ قرىٰ جُرش)** أي من اليمن، وهي مخلاف من مخاليف أهل اليمن، والجيم بالضم، وأما جَرش بالفتح فهي التي في الأردن، والأثر لا يعنيها.

السبب الثاني: أن الرسول ﷺ يذود الناس عن حوضه؛ ليشرب أهل اليمن فدل علىٰ أنهم وفوا بالشروط التي عليهم وهي اتباع الكتاب والسنة ومتابعة العترة ونصرتها.

- عن ثوبان رضيَ الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتىٰ يرفض عليهم)**[1].
- عن عياض الأشعري رضيَ الله عنه قال: لما تنزل قوله تعالىٰ: **(فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه)** قال ﷺ: **(هم قومك يا أبا موسىٰ) وأشار بيده إليه**[2].
- في مسند أحمد قوله ﷺ: **(إني أجد نفس الرحمن من أرض اليمن)**. وفي رواية: **(من قِبل اليمن)**.
- عن عمران بن حصين رضيَ الله عنه قال: جاء بنو تميم إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: **(أبشروا)** فقالوا: قد بشرتنا فأعطنا فتغير وجهه، فجاء أهل اليمن فقال: **(يا أهل اليمن! اقبلوا البشرىٰ إذ لم يقبلها بنو تميم)**، فقالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر.[3] وفي رواية أنهم قالوا: **(قبلناها)**.
- في مسند الإمام أحمد: **(الإيمان يمان والكفر قبل المشرق والسكينة والوقار في أهل الغنم والعجب والفخر في الفدادين في أهل الإبل والبقر في ربيعة ومضر، يأتي الدجال من قبل المشرق هَمُّه المدينة فيصرفه الله إلىٰ الشام حيث يهلك)**.

تنبيه: كأن الحديث يقصد حركة أنصار المهدي.

(1) رواه مسلم.
(2) رواه الحاكم.
(3) رواه البخاري.

3. أن إخوان الرسول ﷺ يردون الحوض وهم غرٌ محجّلين من الوضوء فيعرفهم الرسول ويناديهم، إلا أن بعضهم يُبعد لأنه غيّر وبدّل اللذينِ لا يفترقان؛ الكتاب والسنة والعترة، استبدل غيرهم فأبعده الله ودعا عليه الرسول ﷺ بالسحق.

فمن تابعها يكون من الغر المحجلين الذين يشربون من يده الشريفة ﷺ، ومن لم يتابعها يكون من الغر المحجلين بالوضوء والمبدلين والمحدثين للعترة فيُذاد كالإبل الضالة.

4. وبما أنه ورد من لفظ آخر حديث (**إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**)(1).

والذي يشرب من يد رسول الله ﷺ لابد أن يأتي وهو متبع للكتاب والسنة والعترة، وبما أن قوماً يأتون وهم غر محجلين ثم يذادون ويبعدون، فهذا يدل على أنهم سبغوا الوضوء باتباعهم لتعاليم الكتاب والسنة، وكان سبب ذودهم تفريطهم في العترة بما أحدثوه من نصبهم بالعداء ومعارضتهم ومناجزتهم بالقتال وعدم مودتهم المودة الحقيقية. وهذا ينطبق على المعارضيَن للإخوان؛ المهدي وأنصاره، أمثال السفياني وجيش الخسف والدجال وأتباعه.

عن عبدالرحمن بن عوف قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة انصرف إلى الطائف حاصرها سبع عشرة أو تسع عشرة ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**أوصيكم بعترتي خيراً وإن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعث عليكم رجلاً مني أو كنفسي يضرب أعناقكم**) **ثم أخذ بيد علي فقال (هذا)**(2).

عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول الله ﷺ الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**إني لا أجد للنبي إلا نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن ادعى فأجيب فما أنتم قائلون؟!**)، قالوا: نصحت. قال: (**أليس تشهدون ألا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق**) قالوا: نشهد. قال فرفع يده فوضعها على صدره ثم قال: (**وأنا أشهد معكم**). ثم قال: (**ألا تسمعون؟!**)، قالوا: نعم. قال: (**فإني فرط على الحوض وأنتم**

---

(1) رواه الحاكم وأخرجه البزار وصححه الألباني في الصحيح الجامع.

(2) رواه البزار.

واردون على الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين). فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟. قال: **(كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا، والآخر عشيرتي أو عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فسئلت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهما فهم أعلم منكم)**، ثم أخذ بيد علي رضيَ الله عنه فقال: **(من كنت أولى به من نفسه فعلي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)**. وفي رواية: **(فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة)** وقال فيها أيضاً: **(الأكبر كتاب الله والأصغر عترتي)**[1].

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **(يا أيها الناس إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أَمَا إن ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)**[2].

وجاء في منهاج السنة النبوية لابن تيمية قوله: وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ بِغَدِيرٍ يُدْعَى خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ: **(إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ)** فَذَكَرَ كِتَابَ اللَّهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **(وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)** أ.هـ.

دراسة حديث الولاية

قال ﷺ: **(إن الله عز وجل مولاي، وأنا ولي كل مؤمن)، ثم أخذ بيد علي رضيَ الله عنه**، فقال: **(من كنت وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)**[3]، وفي روايات أخرى: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**. فقلت لزيد: سمعت من رسول الله ﷺ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه.

---

(1) رواه الطبراني.

(2) رواه الإمام زيد في المسند.

(3) السنن الكبرى للنسائي.

قوله: (**إن الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن**)، ثم أخذ بيدي علي عليه السلام فقال: (**من كنت وليه فهذا وليه ... إلخ**).

الولاية مصدر لمادة (وَلِيَ)، وهو أن يكون الشيء إلى جانب شيء آخر، بحيث لا يكون بينهما فاصل، فنقول أن أحدهما (يلي) للآخر، أو القريب منه.

أما ولاية الله عز وجل؛ فالله هو خالق الإنسان وهو أولى به وصاحب الولاية عليه قال تعالى: ﴿**أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير**﴾(1)، وبما أن الله يحيي ويميت وحده فهو المستحق لكل معاني الولاية وحده، فلا تصرف العبادة إلا له.

وبعض الناس يقبل هذه الولاية منهم، يقرون بحاكمية الله تعالى وولايته عليهم، فهو وليهم بينما أهل الكفر لا مولى لهم، قال تعالى: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾(2)، وهذه الولاية كالتي وردت في حديث: (**إن الله مولاي**) وهي ولاية تعبدية.

معنى ذلك أن الله هو المتصرف في كل شؤونك، فله توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فهو الرب المحيي المميت الخالق الرازق، فتصرف له جميع أعمالنا وندعوه وحده، ونذبح له، وننذر له، ونستغيث به، ونستعين به وحده، ونصرف له الحاكمية وحدة.

فالله عز وجل هو المقدر لكل شيء وهو وليك، وعليك الرضى بتلك الولاية، وهي ولاية قدرية بجميع أنواعها؛ بخيرها وشرها، وهي أحد أركان الإيمان الستة، وذلك بأن تؤمن بالقدر خيره وشره.

فالله أعلم بما هو خيرٌ لك.

مثال ذلك .. ولله المثل الأعلى، كمثل ولي الرجل والمرأة في الزواج، فهو يزوجه ما يراه خيراً له، وإن كانت امرأة ينتقي لها وليها الرجلَ الصالح، وإن كان رجلاً ينتقي له وليه المرأة الصالحة، ولذلك سُمي ولياً للأمر.

---

(1) [الشورى: 9]

(2) [محمّد: 11]

فقد يعطيك الله الفقر لأنه يعلم أنه خيرٌ لك، وقد يعطيك الغنى لأنه يعلم أنه خيرٌ لك، وما عليك إلا التسليم المطلق لذلك، وهذا هو معنى الولاية.

وقد يعطيك الأبناء لأنه يعلم أن في ذلك خيراً لك، أو يجعلك عقيماً لعلمه أن ذلك خيرٌ لك.

فهو يتصرف في شؤونك ويغدق عليك بنعم كثيرة، أو يحرمك إياها لحكمة منه.

وموالاتك لله هي أيضاً موالاة عبادة، فالله متصرف في كل شؤونك وأنت تصرف له كل شؤونك.

لكن الكفار ينكرون هذه الولاية فلا يخلصون الولاية لله وحده بل يشركون معه غيره ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾[1] فهم ينصرفون إلى أصنام وطواغيت وملوك ومعبودات غير الله عز وجل، فيوكلهم الله إليها. وعندما يوكَلون إليها يُحرمون نعمةَ ولاية الله عز وجل، وفي يوم أحد كان الكفار يقولون: (لنا العزى ولا عزى لكم)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردوا عليهم وقولوا: (**الله مولانا ولا مولى لكم**).

وهناك آخرون يتنصلون من هذه الولاية فيلجؤون إلى ولاية الشيطان، فالمؤمنون هم أولياء الله تعالى، والله تعالى هو وليهم، فهو يأخذ بهم إلى وادي السعادة وينجيهم من الضلال والعمى، وأما من لا يقبل ولاية الله تعالى فهو في الضلال والظلمات، قال تعالى: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾[2]، ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[3]، فلما لم يتولوا الله عز وجل؛ أعمى الله بصائرهم وأصبحوا في الظلمات.

---

(1) [محمّد: 11]

(2) [البقرة: 257]

(3) [الحج: 46]

أنواع الولاية

الولاية التكوينية

الولاية لله هي ولاية ربوبية فهو الموجد والخالق والمحيي والمميت وحده لا شريك له وهو المكون لهذا الكون وهو المتصرف في أحوال العباد، ويهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور. وهي ولاية تكوينية تقوم على أساس توحيد الربوبية وكل من صرف شيئاً من توحيد الألوهية لغير الله فقد أشرك طاغوتاً مع الله يكون وليه من دون الله، يخرجه من النور إلى الظلمات، كمن يطلب الرزق من غير الله أو يدعو غير الله سواء كان حجراً أو صنماً أو بشراً أو ملِكاً، وكالذي يتحاكم إلى شرع غير شرع الله، أو يحكم بغير ما أنزل الله، ونقول الولاية هي القرب من الله بالنصرة والعبادة وغيرها.

والولاية هي التوحيد، والتوحيد واحدٌ بكل أنواعه من ربوبية، وألوهية، وتوحيدٌ للأسماء والصفات. فالربوبية توحيد لله بأفعاله، وأما الألوهية فتوحيد الله بأفعال العباد، فكل تلك الأنواع تؤدي لمعنىً واحد؛ وهو توحيد الله وحده لا شريك له.

الولاية التشريعية

وهي ولاية نبوية؛ ولاية نبينا محمّد ﷺ علينا، وهي القيام بالدعوة والتشريع، وتربية الأمة والحكم والقضاء في أمورها واختلافاتها، قال تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله**﴾[1]، وقال: ﴿**فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[2]، وقال ﷺ: **(إن الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن)**، التقرب من رسول ﷺ والنظر إليه بصفته أقرب من أي قريب، كمثل ولي أمر الزواج؛ ينظر الأصلح لمن

(1) [المائدة: 55]

(2) [النساء: 65]

يزوجه، ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...**﴾[1]، حتى نفسك التي بين جنبيك فإن النبي أولى بها منك، وفي نفس السورة أي سورة الأحزاب ذكر تزويج زينب للرسول ﷺ.

ويدخل في هذا حديث رسول الله ﷺ: (**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي**)، فكتاب الله أي ولاية الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وسنة رسول الله أي ولاية رسول الله باتباع أقواله وأفعاله وتقريراته.

ولاية المؤمنين؛ ولاية الأعمال الصالحة

من أولى الناس برسول الله ﷺ؟

حدثنا محمّد بن عوف حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد عن عاصم بن حميد الكوفي عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه ثم التفت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: (**إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا، اللهم إن لا أحل لهم فساد ما أصلحت وأيم الله لتكفأن أمتي عن دينها كما تكفأن الإناء في البطحاء**)[2].

دراسة الحديث: قال (**يرون أنهم أولى الناس بي**) فلم ينف عنهم الولاية القائمة بهم كولاية الإمام علي (**من كنت مولاه فعلي مولاه**). وإنما نفى من يريد أن يتولاه وهو غير صالح ومفسد لأن أولياءه المتقون، وله شاهد آخر في حديث الأحلاس (**ثم تكون فتنة دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ألا إن أوليائي المتقون**)، فالمتقون هم أولى الناس برسول الله ﷺ وآل بيته إن كانوا صالحين فهم أولى الناس به، وينالون بصلاحهم درجة الولاية، عهد من الله لجدهم إبراهيم وأما المفسدون منهم ﴿**قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[3]، وليسوا أولى برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف**

---

(1) [الأحزاب: 6]

(2) رواه ابن حبان وابن أبي عاصم والطبراني.

(3) [البقرة: 124]

وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[1]، فعلق ولايتهم بطاعة الله ورسوله وهي معنى قوله: **﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾**[2].

وأحق الناس بهذه الآية هو الإمام علي لأنه من الذين آمنوا، أخرج ابن جرير وأبو نعيم في "الحلية" عن عبدالملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر محمّد ابن علي عن قوله عز وجل: **﴿إنما وليكم الله... ﴾** الآية. قلنا: من الذين آمنوا؟ قال: (**الذين آمنوا**). ولفظ أبي نعيم قال: (أصحاب محمّد ﷺ قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب؟ قال: (**علي من الذين آمنوا**)، قال الألباني إسناده صحيح.

وقيل أنها نزلت على رسول الله ﷺ عندما خرج ﷺ ودخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم يصلي؛ فإذا سائل، قال: (**يا سائل! أأعطاك أحد شيئاً؟**) فقال: لا، إلا هذا الراكع -لعلي- أعطاني خاتماً. والحديث ضعيف. وحتى لو لم يثبت الحديث بجميع طرقه فإن الآية تدل على أن الله ولينا ورسوله والمؤمنون، وأولى المؤمنين بالولاية هو الإمام علي رضيَ الله عنه؛ لما صح عن رسول الله ﷺ: (**من كنت مولاه فعلي مولاه**)[3].

والمفهوم من هذه الولاية أنها ولاية أعمالٍ صالحة؛ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترك كل مؤمنٍ فيها، فكل من قام بالأعمال الصالحات فهو ولي من أولياء الله، ويدخل ضمن هذه الولاية قول الله عز وجل: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[4].

ولقد جعل الله ولاية المؤمنين لبعضهم البعض بإقامة الأعمال، فالذي يقيم الأعمال الصالحات من صلاة وزكاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر أولياءٌ لبعضهم، وهو أقرب في ولايته

---

(1) [التوبة: 71]

(2) [المائدة: 55-56]

(3) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(4) [الحج: 41]

من الأب والأخ والابن: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾(1)، بينما جعل التاركين للأعمال الصالحات والمفسدين منافقين: ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾(2)، فهم على شاكلة بعضٍ في أعمالهم ولا يتوالون تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

فولاية المؤمنين بعضهم لبعض أقوى من الولاية النَسَبية والسببية كولاية الأنساب والأصهار، لذلك جعل الله في صدر الإسلام ولاية المؤمنين لبعضهم بالهجرة وليست بالنسب، فوَرَّثَ بعضَهم بعضاً، ثم نسخ الآياتِ حكماً وبقيت قراءةً؛ في آخر سورة الأنفال، وجعل بعد ذلك التوريث بالنسب، قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم * والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ***﴾(3).

وولاية المؤمنين لبعضهم ولاية مودةٍ وحبٍ وتفانٍ، وتكون أقوى من ولاية القرابة للأخ والأب والابن. بل جعل الله الولاية في الإيمان، وألغى ولاية القرب ونفاها عن ابن نوح لأنه عملٌ غير صالح، قال تعالى: ﴿**قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما**

(1) [التوبة: 71]

(2) [التوبة: 67]

(3) [الأنفال: 72-75]

ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[1]، وقال: ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضيَ الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**[2]، ولذلك قال في الآيات قبلها: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون *﴾**[3].

ولاية الإمام المرجعية

وهي إمامة تخص العترة الطاهرة، وهي ولاية اصطفاء من الله، ووصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (**كتاب الله وعترتي**)، (**من كنت مولاه، فعلي مولاه**)، وفي رواية: (**من كنت وليه فهذا وليه**). وهذه الولاية تابعه لولاية النبي ﷺ ومنزلتها رفيعة، تلي النبوة إلا أنها ليست نبوة، لذلك يقول الرسول ﷺ لإمام العترة الأول علي بن أبي طالب عليه السلام: (**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟!، إلا أنه لا نبوة بعدي**)، قال الله تعالى: **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي﴾**[4]، **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح...﴾**[5].

---

(1) [هود: 46]

(2) [المجادلة: 22]

(3) [المجادلة: 14-17]

(4) [طه: 29-30]

(5) [الأعراف: 142]

قال رسول الله ﷺ: (**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: **من كنت مولاه فعلي مولاه**).

إذن الولاية ولاية الإمام علي عليه السلام في حال حياة الرسول ﷺ وفي وجوده- تكون ولاية اتباع ووزارة، وشد أزر، ومشاركة في أمر تبليغ الشريعة، والقيام بكثرة التسبيح وذكر الله، وولايته ولاية اتباع لرسول ﷺ وتسليم، أي تسليمه لرسول الله ﷺ، وتسليمهم للإمام علي كما يسلمون لرسول الله ﷺ، وهي إمامة في الدين وتلي منزلتها منزلة النبوة وليس فيها وحي النبوة.

وأما في حال غياب الرسول ﷺ أو وفاته، فإن ولايته مرجعية فهو صاحب الفصل في الأمور ويقوم مقام الرسول إلا أنه ليس بنبي، ولكنه إمام ولا تقف ولاية الإمامة عليه بل إن من ذريته من هو إمام من بعده، يدل على ذلك قول الرسول ﷺ وهو يتحدث عن الإمام المهدي فيقول: (...**فأتوا إمام أهل بيتي فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي فيملأُها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**)[1]. والمهدي من العترة من ولد فاطمة وعلي رضيَ الله عنهما.

ويدخل في ذلك قوله ﷺ: (**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ كتاب الله وعترتي**)، فالكتاب هو أمر الله ونواهيه، وعترة الرسول هم أخص أقاربه ﷺ، إذ يلزم اتباع أئمتهم في أفهامهم وتقديمها على أفهام غيرهم، وتقديم أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم، ويستحيل على أئمتهم أن يخالفوا كتابَ الله وسنة رسول الله، فهم أولى الناس بهما، ولن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله، وقد كذب من تحمل بهتان التهمة باطلاً من قال أنهم لا يتبعون الكتاب والسنة، بل من قال ذلك فهو ناصبي نصب العداء، وأنزلهم غير منازلهم التي أنزلهم الله بها، ويشهد لهم بها رسول الله ﷺ ولذلك قال ﷺ عنهم: (**كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف لأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا والاخر عترتي أو قال عشيرتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا**

(1) رواه الحاكم من حديث عبدالله بن مسعود.

عنهما فتهلكوا ولا تعلموهما فهم أعلم منكم)[1]، وفي رواية: **(الأكبر كتاب الله والأصغر عترتي)، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه فقال: (من كنت أولى به من نفسه فعلي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)**[2].

فلو نظرنا إلى الحديث نظرة تمعن سنجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمنا كيف نأخذ من العترة!

فمثلاً .. في فتنة اقتتال الإمام علي مع معاوية، هلك الذين تقدموا، وهلك الذين قصروا!

فالذين تقدموا بالسب والشتم والتكفير بقصد الدفاع عن الإمام علي هلكى، مع أن الإمام علي ظُلم من معاوية ومع ذلك لم يلعنه ولم يسبه.

وهلك الذين قصروا في الدفاع عن الإمام عليٍ عندما سبَّه معاويةُ ومن معه من أهل الشام وشتموه، لأنهم تركوا نصرة المظلوم من عترة رسول الله، وجعلوا لعن الصحابي الجليل الإمام علي مسألةً عاديةً لا عَقَدِيّة.

فالمتقدمون هالكون والمقصرون هالكون!

لكن أصحاب الحق هم الذين قالوا بقول الإمام علي، وفعلوا فعلَه، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(ولا تعلموهم فهم أعلم منكم)**.

ولأن الإمام علي هو الأعلم؛ لم يلعن معاوية ولم يسبه، لكنه دعا عليه. وقال: إخواننا بغوا علينا. فمن قال بقول علي، وفعل فعلَه، فقد استن بسنة العترة ونجى عند الحوض.

ولاية علي رضيَ الله عنه

ومن خلال الأحداث التي حدثت في حياة رسول الله ﷺ نتبين كيف كانت ولاية الإمام علي عليه السلام، وذلك على النحو التالي:

(1) رواه الطبراني.

(2) رواه الطبراني.

أولاً: الإيمان والنفاق في الولاية

كان علي يعتبر معياراً لصحة الإيمان أو إثبات النفاق.

روى الإمام أحمد في المسند عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: (**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**).

وعن علي قال: عهد إليّ النبي ﷺ: (**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**)[1].

روى الإمام أحمد؛ عن عبدالله بن عباس رضيَ الله عنه قال: بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب، فقال: (**أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني، وحبيبك حبيب الله وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله الويل لمن أبغضك بعدي**).

وعن أبي سعيد الخدري قال: (إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم علياً).

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري أيضاً: (كنا بنور إيماننا نحب علي بن أبي طالب، فمن أحبه عرفنا أنه منا)[2].

واليوم نعرف المؤمنين بحبهم لعلي وآل بيته، ونعرف المنافقين ببغضهم لعلي وآل بيته، ومن آل بيته: الإمام المهدي عليه السلام. فمن أحب بيعته ونصرته والعمل مع الأنصار على ظهوره دل على إيمانه، ومن أبغض العمل والنصرة والبيعة، وقال أنها تشيع أو رفض أو جهيمانية أو غيرها دلّ على نفاقه.

ومما يدل على ذلك أيضاً حديث الدهيماء قال: (**حتى يصير الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده**)، فجعل فسطاط الإيمان لا نفاق فيه، وهو الفسطاط الذي يكون مع المهدي ثم يأتي بعده الدجال في آخر أيام الإمام المهدي عليه السلام، فيقوم بقيادة فسطاط النفاق الذي لا إيمان فيه، وقد ورد أيضاً في الحديث الآخر قوله ﷺ: (**ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان كان كمن قاتل مع**

---

(1) رواه مسلم.

(2) فضائل الصحابة لعبدالله بن الإمام أحمد.

الدجال)[1]، أي من قاتل العترة في آخر الزمان؛ ويقصد الإمام المهدي عليه السلام. فمن قاتله فهو من أنصار الدجال، ومن أهل النفاق في آخر الزمان.

ثانياً: الولاية هي المرجعية

ولاية الإمام علي مرجعية، قال ابن سعد في الطبقات: واستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة محمّد بن مسلمة، وهو أثبت عندنا ممن قال استخلف غيره (يقصد سباع بن عرفطة) أ.هـ.

روى الحاكم في المستدرك عن الحسن بن سعد مولى علي عليه السلام أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يغزو غزوة له، قال: فدعا علياً فأمره أن يتخلف على المدينة، فقال: لا أتخلف بعدك يا رسول الله أبداً. قال: **(أي علي)** فدعاني رسول الله ﷺ فعزم عليّ لَمّا تخلفت قبل أن أتكلم. قال: فبكيت. قال رسول الله ﷺ: **(ما يبكيك يا عليّ؟)**، قلت: يا رسول الله، يبكيني خصال غير واحدة؛ تقول قريش غداً: ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله، ويبكيني خصلة أخرى؛ كنت أريد أن أتعرض للجهاد في سبيل الله لأن الله يقول **﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً ...﴾**[2] الآية، فكنت أريد أن أتعرض لفضل الله. فقال رسول الله ﷺ: **(أما قولك: تقول قريش ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله، فإن لك بي أسوة فقد قالوا: ساحر، وكاهن، وكذاب. أما قولك: أتعرض لفضل الله فهذه أبهارٌ**[3] **من فلفل جاءنا من اليمن، فبعه واستمتع به أنت وفاطمة حتى يؤتيك الله من فضله، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك)** قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص أنه سمع النبي ﷺ يقول لعلي عندما خلفه في بعض مغازيه وقال له علي: خلفتني مع النساء والصبيان. فقال له رسول الله ﷺ: **(أما ترضى أن**

---

(1) رواه البزار وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك.

(2) [التوبة: 120]

(3) جمع بهار، وتجمع على أبهار وبهارات.

تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟! إلا أنه لا نبوة بعدي)[1]، وفي رواية أخرى: (خلف رسولَ الله ﷺ عليُ بن أبي طالب في غزوة تبوك، قال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان...)[2].

وفي رواية: (**ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي)**[3].

فهذه الروايات تدل على أن ولاية علي؛ ولاية مرجعية، وليست ولاية ملك فقط، أو محبة ونصرة فقط.

لذلك جعل والي المدينة بعده في غزوة تبوك محمّد بن مسلمة أو سباع بن عرفطة وجعل علياً مرجعاً لأهل المدينة والوالي بقوله: (**لا تصلح المدينة إلا بي أو بك**).

ولو كان الإمام علي والياً على المدينة لما احتيج إلى ولاية محمّد بن مسلمة.

نستنتج من ذلك:

1. محمّد بن مسلمة والي المدينة أو سباع بن عرفطة.
2. علي مستخلف على النساء والأطفال من آل بيت رسول الله ﷺ.
3. علي مرجعية الجميع من أهل المدينة والوالي؛ أي بمعنى وليهم.

ونستفيد من هذا أن هذه الحادثة تعطينا الفهم الصحيح لما حصل في بيعة الخليفة أبي بكر الصديق، حيث أجمع عليه الصحابة إلا بني هاشم، ثم بعد ذلك قاموا ببيعته بعد أن بايعه الإمام علي، نظير ما وقع في غزوة تبوك حيث كان الوالي محمّد بن مسلمة وعلي مرجعه ومرجع أهل المدينة.

ومما رُويَ أن العباس طلب من علي أن يأتي رسول الله ﷺ ليكتب له كتاباً بالأمر من بعده. فقال العباس: إني أعلم وجوه بني هاشم إذا حضرتهم الوفاة، وقد حضرَ الرسولَ صلى الله

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أحمد.

عليه وآله وسلم ما ترى. فقال علي: لا تفعل. قال: ولِمَ؟ قال: أخشى أن يقول لا! فإذا ابتغينا ذلك من الناس قالوا أليس قد أبى رسول الله؟!(1).

وكذلك هنا فالخليفة أبو بكر والمرجعية الإمام علي.

وحادثة بيعة أبي بكر تشبه حادثة غزوة أحد حيث تنازل الرسول ﷺ عن رأيه في البقاء في المدينة إلى رأي أغلب الصحابة في الخروج إلى أحد.

وكذا تنازل علي عن رأيه في أن هذا الأمر فيه؛ لرأي أغلب الصحابة.

فنقول فإذا كان النبي ﷺ تنازل للرأي الغالب، فكذلك تنازل الإمام علي للرأي الغالب.

مما يعني أن الولاية ليست هي الملك، وأن الملك ولاية دنيوية يخضع للولاية الدينية.

وكذا ما حصل في بيعة الخليفة عمر حيث رشحه أبو بكر فأقره الإمام علي وكذا تنازل للخليفة عثمان نزولاً عند رأي الأغلبية.

ثم رضيَ الخلافة لنفسه لما بايعه أهل المدينة.

ومن هنا نقول أن ولاية الإمام هي المرجعية الدينية والدنيوية، وهي تشبه سياسة الأنبياء، قال النبي ﷺ: (**كانت بن إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم**)، وكذلك الخلافة على منهاج النبوة في أمة محمّد تسوسهم أئمتهم.

- فإذا رأى الإمام أن الخلافة لغيره أصلح أقّره عليها، كفعل الإمام علي مع الخلفاء الراشدين؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان.
- ومتى رأى أنه أحق بها قام عليها كفعل الإمام علي عندما بويع له بالخلافة، وكذلك ما سيحصل مع الإمام المهدي عليه السلام، فإنه يكره عليها.
- ومتى رأى أن يتنازل عنها لغيره حقناً للدماء وإسكاتاً للفتنة وتهدئة لها. كما حصل للإمام الحسن تنازله لمعاوية، قال ﷺ: (**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**).

(1) الطبقات الكبرى.

- ومتى رأى أنه أحق بها وقام على طلبها وخرج بسيفه لإقامة الحق وإزالة الظلم؛ فإن ظفر بها فهو أحق بها، وإن قُتِل دونها فهو شهيد.

كمثل فعل الإمام الحسين رضيَ الله عنه عند خروجه على يزيد، إذ قُتل دون ذلك فهو شهيد، وكذلك الإمام زيد بن علي بن الحسين؛ لما خرج على هشام بن عبدالملك، قتل دونها فهو شهيد.

فهذا هو معنى الولاية الصحيح.

ضوابط الإمامة

للشيعة الاثني عشرية ضوابط في الإمامة وكذلك الزيدية، أما أهل السنة فليس لديهم ضوابط لأنهم لا يعترفون بإمامة آل البيت خاصة دون غيرهم.

سنستعرض تلك الضوابط ثم نذكر ضوابطها الشرعية عندنا.

- **ضوابط الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية:**
  - العلم، أن يكون أعلم أهل زمانه.
  - وجود نص على إمامته من النبي ﷺ أو من الإمام الذي سبقه.
  - أن يكون معصوماً من الذنوب والأخطاء.
  - حصر الإمامة في أبناء الإمام الحسين.
- **ضوابط الإمامة عند الزيدية:**

شروطهم كثيرة، منهم من يقول ثمانية ومنهم من يقول أربعة عشر، أهمها:

  - العلم.
  - الانتساب إلى أحد البطنين؛ الحسن أو الحسين.
  - الخروج بسيفه وإعلان الإمامة لنفسه.
- **ضوابط الإمامة الشرعية من خلال أحاديث رسول الله ﷺ ومفهومها الصحيح:**
  - أن يكون قدوة.

- من عترة آل البيت منتسب إلى أحد البطنين الحسن أو الحسين.
- يقوم مقام رسول الله في أمته.

وهي منزلة دون النبوة، ومن هنا نفرق بين الإمامة وبين الملك.

ضوابط المُلك

قال تعالى: ﴿**إن الله اصطفاه عليكم وزاده الله بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء**﴾[1]، ومنزلة الإمامة أعلى من منزلة الملك.

عصمة الأئمة

الأئمة ليسوا معصومين لأنهم لا يأتيهم وحي النبوة، فالعصمة قائمة بالوحي الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ...**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى**﴾[3]، وأما في الكبائر فالعقل والمنطق يقول أن الأئمة معصومين منها، فضلاً عما ورد في كتاب الفتن لنُعَيْم بن حماد في الإمام المهدي عليه السلام: (تفتح " القسطنطينية" على يدي رجل من بني هاشم، وأمير الجيش الذي يفتح القسطنطينية ليس بسارقٍ ولا زانٍ ولا غال)

ومن هنا نفهم أن الولاية ليست هي الملك، وإنما هي منزلة أعلى من الملك، وهي منزلة تلي النبوة، وهي مرجعية تقوم مقام رسول الله ﷺ في أمته، ومن يحصر الولاية في الملك؛ فإنه ينتقص قدر الولاية الحقيقية ومنزلتها.

ثالثاً: مخالفة مبدأ الولاية

أ. مخالفة الولاية في عهد رسول الله ﷺ.

---

(1) [البقرة: 247]

(2) [فصلت: 42-43]

(3) [النجم: 3-4]

ب. مخالفة الولاية بعد عهد رسول الله ﷺ.

ج. مخالفة الولاية في عهد الإمام المهدي عليه السلام وحادثة الخسف للجيش.

(أ) مخالفة الولاية في عهد الرسول ﷺ:

روى الإمام أحمد؛ عن عمران بن حصين رضيَ الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً واستعمل عليه علي بن أبي طالب، فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي، كان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟!. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا. فأقبل رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه فقال: (**ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي**) أ.هـ.

وفي رواية له: (**... ولي كل مؤمن في الدنيا والآخرة**).

وفي رواية له؛ قال بريدة بن الحصيب: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتَنَقَّصْتُه فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: (**يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه**) أ.هـ.

وفي رواية له؛ عن بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: (**إذا التقيتم؛ فعليٌ على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكم على جنده**)، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، فاصطفى عليٌ امرأة من السبي لنفسه، قال بريده: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقُرِئ

عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله. فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أُرسِلت به. فقال رسول الله ﷺ: (**لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي**).

عن بريدة قال: بعث رسول الله علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً، فأصبح وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟!. فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت ذلك له فقال: (**يا بريدة أتبغض علياً؟**). قلت: نعم. قال: (**لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك**)[1].

وفي رواية للإمام أحمد؛ قال بريدة: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً. قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً. قال: فأصبنا سبياً. فكتب إلى رسول الله ابعث إلينا من يُخَمِّسُه، قال: فبعث إلينا علياً، وفي السبي وصيفة من أفضل الصفي، فخَمّسَ وقسم وخرج ورأسه يقطر، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟! فقال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قَسَّمت وخَمَّست فصارت في أهل بيت النبي. ثم صارت في آل علي فوقعت بها. فكتب الرجل إلى نبي الله فقلت ابعثني، فبعثني مصدقاً. فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، فقال: (**أتبغض علياً؟**). قال: قلت: نعم. قال: (**فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً فوالذي نفس محمّد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة**) قال: فما كان من الناس أحد بعد قول النبي ﷺ أحبَّ إليّ من علي. أ.هـ[2].

عن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله عليَّ بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت ممن خرج معه، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا، فكنا قد رأينا في إبلنا خللاً، فأبى علينا، وقال: إنما لكم منها سهمٌ كما للمسلمين. قال: فلما فرغ علي وانطلق من اليمن راجعاً، أمَّرَ علينا إنساناً، وأسرع هو، فأدرك الحج فلما قضى حجته قال

(1) رواه البخاري.

(2) رواه أحمد.

له النبي: **(ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم)**، قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه نفعل، فلما جاء عرف في إبل الصدقة إن قد رُكِبَت رأى أثر المركب، فذم الذي أمَّرَه ولامَه، فقلت: إنا إن شاء الله إن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق، قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله فوقف معي ورحب بيّ وسألني وسألته وقال متى قدمت؟ قلت: قدمت البارحة فرجع معي إلى رسول الله، فدخل فقال: هذا سعد بن مالك؛ ابن الشهيد، قال: **(ائذن له)**، فدخلت فحييت رسول الله، وجاءني وسلم عليّ وسألني عن نفسي وعن أهلي فأحفى المسألة، فقلت له: يا رسول الله، ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فانتبذ رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله على فخذي وكنت منه قريباً ثم قال: **(سعد بن مالك الشهيد؟! مه؟! بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخشن في سبيل الله)**. قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية.(1)

وعن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة التابعي رحمه الله قال: لما أقبل علي رضيَ الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة تعجل إلى رسول الله ﷺ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجلٍ من القوم حلةً من البز الذي كان مع علي رضى الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس! قال: ويلك انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم(2).

فالخلاصةُ: أن عليّاً سبق أفراد الجيش الذين أرادوا الحجّ والقدوم إلى النبي وتعجّلهم، وأمّر عليهم أميراً غيره لأجلِ أن يُدرِك هو النبيَّ في الحج، وقد كثُر فيه القيل والقال من ذلك الجيش

(1) رواه البيهقي في (دلائل النبوة)، وابن عساكر.

(2) رواه ابن اسحاق، كما في سيرة ابن هشام، ومن طريقه الطبري في تاريخه، والبيهقي في الدلائل.

بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه، وبسبب ما كان فيه من شدّةٍ على بعضهم اقتضتها الظروف، ولظنّهم أنه اعتدى وأخطأ عندما اتخذ لنفسه الجارية الوصيفة الجميلة من السبي، وعلي معذور فيما فعل، ولكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج، فلذلك لما رجع رسول الله ﷺ من حجته وقضى مناسكه ورجع إلى المدينة ومر في طريقه بغدير (خُمّ) قام في الناس خطيباً ليُبَرِّئ ساحة عليٍّ وليرفع من قدره، وينبّه على فضله، ليُزيل ما وقر في نفوس كثيرٍ من الناسِ من بُغضِهِ وكراهيتهِ، وليبين أن منزلته من رسول الله كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ.

إذاً فالولاية هنا ليست هي فقط إزالة بغض وريب وشك من نفوس بعض الصحابة وإنما هي توضيح المنزلة الحقيقية لإمام العترة الإمام علي بن أبي طالب والتي لم يكن يدركها بعض الصحابة.

وقد ورد في روايات أخرى في نفس الحديث: **(أوصيكم بعترتي خيراً وإن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعث عليكم رجلاً مني أو كنفسي يضرب أعناقكم) ثم أخذ بيد علي فقال (هذا)**[1].

أي أن نحفظ لهم منزلتهم التي أعطاهم الله إياها، وأكد عليها رسول الله ﷺ، وأن علياً كرسول الله ﷺ إلا أنه لا يوحى إليه.

(ب) مخالفة الولاية بعد عهد النبي ﷺ:

في مستدرك الحاكم؛ عن علي رضيَ الله عنه قال: إن مما عهد إليّ النبي ﷺ؛ أن الأمة ستغدر بي بعده.

وفي رواية: **(إن الأمة ستغدر بك من بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتُقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا يعني لحيته من رأسه).**

(1) رواه البزار.

إن الأمة ستغدر بعليٍ بعد رسول الله ﷺ، وستخالف مبدأ الولاية كما خالف بعض الصحابة في زمن رسول الله، وبدأت مخالفة الولاية بعد رسول الله ﷺ في زمن الفتنة؛ فتنة قتل عثمان بن عفان رضيَ الله عنه.

وأما في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضيَ الله عنه وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه، فإن الأمة حفظت ولاية الإمام علي كمرجعية، فقد قال علي لأبي بكر الصديق رضيَ الله عنهما في حرب الردة عندما أراد الخروج للقتال بنفسه: (ارجع! لا تفجعنا بنفسك)، فما خرج أبو بكر نزولاً لرأي مرجعية الأمة الإمام علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه، وكان عمر يقول: (لولا علي لهلك عمر)، فكانوا يعرفون له حقه ومنزلته كمرجعية ويحبونه ويودونه ويحبون آل بيته ويودونهم وكان يحبهم ويودهم حتىٰ أنه سمىٰ بعض أبنائه بأسمائهم وزَوَّج عمرَ رضيَ الله عنه ابنتَه، وأما مخالفة الولاية فكانت بعد قتل الخليفة عثمان رضيَ الله عنه.

وسنستعرض هنا أسباب الفتنة التي وصلت إلىٰ قتل الخليفة عثمان بن عفان رضيَ الله عنه.

أولاً: أسباب فتنة مقتل الخليفة عثمان أو الفتنة الكبرىٰ

وتُعرف كذلك (الفتنة الأولىٰ)، وهي مجموعة من القلاقل والاضطرابات والنزاعات، أدت إلىٰ مقتل الخليفة عثمان بن عفان في سنة 35 هـ، ثم تسببت في حدوث نزاعات وحروب طوال خلافة الإمام علي بن أبي طالب، وكان سببها مخالفة الأمة لولاية إمام المرجعية علي بن أبي طالب عليه السلام.

كانت للفتنة الكبرىٰ أثر كبير، في تحويل المسار في التاريخ الإسلامي، فتسببت في انشغال المسلمين لأول مرة عن الفتوحات وقتال بعضهم البعض، كما تسببت في بداية النزاع المذهبي بين المسلمين، فبرز الخوارج لأول مرة، كجماعة تطالب بالإصلاح وردع الحاكم والخروج عليه، كما برزت جماعة السبئية الغلاة، التي اتفقت علىٰ تقديم أهل البيت علىٰ جميع الناس، وغالت في

حبهم، كما كانت من آثار الفتنة مقتل عددٍ مهولٍ من الصحابة على رأسهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضيَ الله عنهما.

كما كان من أبرز تحولات المسار انتهاء عصر دولة الخلافة الرَّاشدة والخلافة الشورويَّة، وقيام الدولة الأُموية وبروز الملك الوراثي.

بداية الفتنة

لم يغير عثمان بن عفان الولاة الذين عينهم عمر بن الخطاب عند توليه الخلافة؛ وذلك لوصية عمر بأن يُبقي على ولاته في مناصِبهم لمدة سنة بعد وفاته خِشيةَ تغييرٍ مُستعجلٍ يضطرب له أمر المسلمين.

الكوفة:

من أوائل التغييرات السياسية التي قام بها عثمان بعد سنة من وصية عمر هو عزل المغيرة عن الكوفة وتولية سعد بن أبي وقاص عليها سنة 24هـ، وكان هذا التعيين بسبب وصية سابقة لعمر بن الخطاب. إلا أن إمارة سعد على الكوفة لم تستمر طويلاً. حيث اضطر عثمان إلى عزل سعد اضطراراً، وسارع وولى بدلاً عنه الوليد بن عقبة سنة 26هـ.

لم يكن أهل الكوفة يطمئنون للوليد. لأنه كان من المذمومين في عهد رسول الله ونزل ذمه في القرآن. حيث غش الرسول وكذب عليه، وأنزل الله فيه قراناً فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[1]، وكان هذا الفاسق المقصود هو الوليد.

والوليد هو أخ عثمان بن عفان من أمه، وقد تكون هذه القرابة هي التي جعلت الوليد مفضلاً على بقية أعلام المسلمين في إمارة أحد أخطر الأمصار وهي الكوفة. استاء أهل الكوفة من تولية الوليد عليهم فهم لم يكونوا يرون فيه الحاكم الكُفؤ، ولا صاحب الدين المستقيم. حتى صلّى بالناس وهو سكران، فذهب وفدٌ من أهل الكوفة يشهد على الوليد بمعاقرة الخمر وجاؤوا

(1) [الحجرات: 6]

بخاتمه الذي استلوه من يده وهو سكران دليلاً على ذلك. الأمر الذي أثار غضب عثمان وعلي بن أبي طالب وكبار أعيان المدينة فقام بعزل الوليد وأتى به إلى المدينة حيث أقام عليه الحد. ونفذ فيه حكم الجلد الإمامُ علي.

وما كان من عثمان إلا أن ولى على الكوفة سعيد بن العاص بديلاً عن الوليد سنة 30 هـ. استقبل أهل الكوفة سعيداً بكل رحابة وكانت الأمور تُنبئ بخير لما كان من توافق بين الأمير ورعيته. إلا أن هذا الحال التوافقي لم يستمر طويلاً قبل أن يُعكره سعيد بن العاص نفسه، ففي عام 33هـ، وفي إحدى الليالي عندما كان الأمير جالساً مع كبار أهل الكوفة، قال في خضم جدالٍ طويل: "إنما السواد بستان لقريش"، يعني أن أرض العراق ملك لقريش. الأمر الذي أغضب كبار أهل الكوفة الذين لم يتأخروا بالرد عليه وقالوا: "إنما السواد فيءُ أفاءه الله علينا، وما نصيب قريش منه إلا كنصيب غيرها من المسلمين"، فغضب صاحب الشرطة لأن القوم ردوا رداً غليظاً على الأمير. فحدث تشاجرٌ واشتباك بالأيدي أدى إلى ضرب صاحب الشرطة وإغمائه.

كتب سعيد بن العاص إلى عثمان بما حدث. فأرسل عثمان أمره بإخراج الذين ردوا على الأمير ونفيهم إلى الشام عند معاوية لاستصلاحهم. وبالفعل أبعد هؤلاء القوم عن الكوفة ووصلوا إلى معاوية الذي أحسن معاملتهم. وظل معاوية يَدخل عليهم فيناظرهم ويعظهم ويذكرهم في فضل قريش على العرب فلم يقنعوا له، وردوا عليه قائلين بأن الإسلام لا يعرف لقريش فضلاً غير أن النبي بُعث منهم. وأن انبعاث النبي من قريش لا يبيح لها التحكم في رقاب الناس. كما ألا حق لقريش بأن تمتاز عن بقية العرب فكل الناس في الإسلام سواسية، بل إنهم طلبوا منه أن يعتزل الإمارة إلى من هو أقدم منه للإسلام عهداً وأكرم منه أباً، وأجدر منه أن يقيم حدود الله.

ويظهر أن معاوية قد خاف منهم أن يحرضوا أهل الشام عليه. فكتب إلى عثمان يطلب منه إبعادهم عنه وإعادتهم إلى الكوفة. فقبل عثمان بذلك فلم يكادوا يعودوا إلى الكوفة حتى أطلقوا ألسنتهم في سعيد بن العاص وعادت المشاحنات بينهم وبينه، فأعاد سعيد الكتابة إلى عثمان يشكو له منهم ويطلب منه إبعادهم عنه. فأمر عثمان بنفيهم مرة أخرى لكن هذه المرة كان النفي إلى الجزيرة عند عبدالرحمن بن خالد بن الوليد.

تلقاهم عبدالرحمن على عكس معاوية. فجعل يسومهم الخسف ويعظم لهم أمر نفسه وأمر أبيه وأمر قريش، لا بالمناظرة والحجج الدينية وإنما بالقول الغليظ والسيرة التي هي أغلظ من القول. وصار لا يركب إلا وجعلهم يمشون خلفه، يؤنبهم ويزجرهم ويذلهم ويجعلهم للناس نكالاً. فعندما زاد في أذيتهم أظهروا له الطاعة والقبول بسيادة قريش وتميزهم على العرب. وأرسلوا إلى عثمان مالك بن الحارث الأشتر يبين له طاعتهم فقبل عثمان ذلك، لكنهم ظلوا مُقيمين عند عبدالرحمن لكن إقامتهم لم تطل.

حيث قدم سعيد على عثمان في المدينة، فاستغل أهل الكوفة خروج سعيد منها فتجمعوا وأقسموا أن لا يدخلها سعيد مرة أخرى وكتبوا إلى أصحابهم المنفيين عند عبدالرحمن، ففروا من عبدالرحمن وأقبلوا مسرعين حتى دخلوا الكوفة. فكتب زعيم المنفيين العائدين إلى الكوفة كتاباً إلى عثمان جاء فيه: «من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنة نبيه النابذ لحكم القرآن وراء ظهره. أما بعد فقد قرأنا كتابك؛ فَانْهَ نفسَك وعمالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين، نسمح لك بطاعتنا. وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا، وذلك ظنك الذي أرداك فأراك الجور عدلاً والباطل حقاً. وأما محبتنا فإن تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا، وتسييرك صلحاءنا، وإخراجك إيانا من ديارنا، وتوليتك الأحداث علينا، وأن تولي مصرنا عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة، فقد رضيَناهما. واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله والسلام».

فقبل عثمان بولاية أبي موسى مضطراً. وكان أبو موسى يمانياً من أصحاب النبي ولاه عمر البصرة.

مصر:

وأما مصر فكان أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه قد توفي وعلى مصر عمرو بن العاص والياً عليها. فما كاد بعض الوقت من ولاية عثمان ينقضي حتى جعلت قرابة عثمان تنظر إلى أحد أهم أمصار المسلمين نظرة لا تخلو من الطمع والطموح إليها. وكانت مصر

جبهة مفتوحة إلى أفريقية حيث لم يقصر عمرو في غزوها لفتحها والعودة من غزواته محملاً بالغنيمة، متولياً مهمة فتح البلدان المجاورة طيلة سنين، إلا أن عثمان سرعان ما قرر كف عمرو بن العاص عن غزو أفريقية، وأرسل جيشاً لا يذعن لسلطان الوالي بمصر وإنما يتصل بالمدينة متخطياً عمرو بالعاص على غير المألوف. حيث أن قادة الأمصار هم من يتولون قيادة الغزوات والفتوحات عادة. وكان المكلف بقيادة هذا الجيش عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهو أخُ عثمان من الرضاعة. ووعده بأنه لو استطاع فتح أفريقية فله خمس الخمس (4%) من الغنيمة.

ومن الطبيعي أن يغضب عمرو لهذا التهميش. لأن عثمان قد خص به عن نظرائه من العمال. فلم يكن عثمان يرسل الجيوش من قبله مباشرة إلى الثغور. وإنما كان ذلك إلى العمال حيث يغزو معاويةُ الرومَ، ويغزو عاملُ البصرةِ والكوفةِ فارسَ.

وقد نجح عبدالله بن أبي سرح في فتح الأراضي الواسعة من أفريقية والمجيء منها بعظيم الغنائم، وما إن انتهى من غزوه ولاه عثمان خراج مصر -المسؤولية المالية للبلاد-، تاركاً لعمرو بن العاص مسؤوليتها العسكرية. وكان لابد من حدوث الاختلاف بين عمرو وعبدالله. فكتب كلاهما إلى عثمان يشكو الآخر، وما كان من عثمان إلا أن عزل عمرو بن العاص عن مصر وسلمَ عبدالله بن أبي سرح إمارة مصر كلها عام 27هـ.

لم يكن عبدالله بن سعد بن أبي سرح رجل صدق، ولم يكن المسلمون يرضون عنه، إذ كان من الذين اشتدوا على النبي وأسرفوا في السخرية منه، وقد ارتد بعد إسلامه وأعلن كشفه عن زيف نبوة محمّد وأحل الرسول دمه وكاد يقتله عند فتح مكة لولا شفاعة عثمان له وإعلان إسلامه. ولا يوجد شكٌ في كون سيرة عبدالله في مصر قد أصابت أهلها بالسخط عليه. فكان يكلفهم فوق ما يطيقون ويتحملون ويتشدد حتى في شكواه إلى عثمان. فكتب عثمان له يأمره بالرفق في رعيته فلم يحفل بذلك، وإنما عاقب الذين شكوه وضرب منهم رجلاً حتى قتله، وبذلك غضب أهل مصر غضباً عظيماً وغضب معهم أعيان أهل الإسلام في المدينة.

الشام:

وأما الشام فكان معاوية بن أبي سفيان أعظم الولاة حظاً من كل شيءٍ في أيام عثمان. فكان عُمر قد ولى معاوية حكم دمشق وولى أخاه يزيد بن أبي سفيان حكم الأردن، وعندما مات يزيد ضم عُمر الأردن إلى سلطة معاوية فاتسع بذلك سلطانه. وبعد موت عُمر كان معاوية من المقربين لعثمان حيث أن معاوية ابن عم عثمان فلم يقم بتغييره. بل على العكس حيث ضم إلى سلطته الكبيرة فلسطين بعد موت حاكمها عبدالرحمن بن علقمة، وقام بعزل عمير بن سعد الأنصاري حاكم حمص وضمها إلى معاوية أيضاً. وبذلك اجتمعت عند معاوية الأجناد الأربعة وبسط قوته على بلاد الشام كلها ليصبح ذا سلطةٍ عالية لا ينافسه فيها أحد.

وقد طال حكم معاوية للشام، فأحبه أهل الشام وأصبح لطول ولايته وحسن تدبيره لأمور رعيته أشبه بالملك منه بالوالي. وكان عثمان إذا ما أراد أن يُسَيِّرَ أحد المخالفين له والمعارضِيَن لسياسته؛ فإنه كان يرسلهم إلى الشام عند معاوية، فقد كان حزم معاوية هو الملجأ الذي كان عثمان يلجأ إليه إذا أراد تأديب المعارضِيَن له. ويبدو أن معاوية كان حازماً حتى على عثمان نفسِه. فكان يلتقي المنفيين الذين يرسلون إليه لإصلاحهم، فإذا لم يقدر عليهم طلب من عثمان أن يخرجهم من عنده، ولم يكن عثمان يرد له طلباً.

البصرة:

وأما البصرة فكان أبو موسى الأشعري عامل عمر على البصرة. وأبقاه عثمان على حكمه أعواماً. والكثرة من أهل البصرة مضرية، وفيهم ربيعيون وفيهم قلة من اليمانية. ولأمرٍ ما أحب عمر أن يولي رجلاً من اليمن على البصرة، وكثرة أهلها مضرية، وأن يولي رجلاً ثقفياً وهو المغيرة بن شعبة الكوفة وكثرة أهلها يمانية؛ وغالب الظن أنه يريد بذلك مقاومة العصبية القبلية حتى يزيلها.

كان أبو موسى رجلاً من أصحاب النبي مقدماً فيهم، وقد استقامت أمور البصرة في عهده أعواماً، لم يشتك فيها أهل البصرة من أميرهم ولم يشكُ الأميرُ من رعيته. ولكن يبدو أن

العصبية القبلية –والقرشية بالأخص– قد عادت في زمن عثمان. فقد كانت ثلاثة من الولايات الأربعة الكبرى يليها أمراء من قريش أقرباء لعثمان: الوليد بن عقبة في الكوفة، وبعده سعيد، ومعاوية بن أبي سفيان في الشام، وعمرو بن العاص في مصر وبعده عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

فلم تبق إلا ولاية واحدة من هذه الولايات الكبرى لم يلِ أمرها أموي ولا قرشي وإنما وليه رجلٌ من أهل اليمن، فكان مركز أبو موسى بين هؤلاء الولاة غريباً شاذاً، حيث أنه اليماني الوحيد الذي يلي ولايةً ذات خطر. حتى جاء في أحد الأيام رجلٌ مضريٌ من بني ضبة، هو غيلان بن خرشة الضبي فقال لعثمان: "أما لكم صغير فتستشبوه فتولوه البصرة؟ حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة؟" ويبدو أن غيلان لم يكن وحده بل كان معه مجموعة من أهل البصرة اشتكوا أيضاً أبا موسى. فسارع عثمان في عزل أبي موسى وتولية ابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز عام 29 هـ، فدخل البصرة والياً عليها وهو ابن خمس وعشرين عاماً.

السياسة المالية:

كانت السياسة المالية لعثمان من أكثر الأمور التي أثارت الرأي العام.

إذ كان عثمان ذا ثروة عظيمة وكان وَصُولاً للرحم. يصلهم بصلاتٍ وفيرة، فنِقم عليه أولئك الأشرار وقالوا بأنه إنما كان يصلهم من بيت المال، وعثمان قد أجاب عن موقفه هذا بقوله: "وقالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي لهم فإنه لم يَمل معهم إلى جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس، وقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرعية من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي وفنيَ عمري وودعتُ الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا؟!".

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كبعض من يُعطى، فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل

ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب. فهذه النصوص وغيرها مما اشتهر عنه وما صح من الأحاديث في فضائله الجمة، تدل على أن كل ما قيل فيه من إسرافه في بيت المال وإنفاق أكثره على نفسه وأقاربه وقصوره في حكايات بدون زمام ولا خطام يطول ذكرها مفترى عليه، مع براءة عثمان مما نسب إليه.

ومنها اتهامهم له في إعطائه خمس الخمس لعبدالله بن أبي السرح من فتح أفريقية، ومنها انتقادهم له في مروان بن الحكم وشرائه ما ثقل حمله من الغنائم من الحيوان وغيره، فدفع جزءاً وبقي عليه جزء، فسارع لبشارة عثمان بفتح أفريقية فوهبه الجزء الباقي جزاء بشارته.

معارضون من الصحابة داخل المدينة

- **أبو ذر الغفاري:**

كان أبو ذر الغفاري رضيَ الله عنه من أكبر المعارضيَن للسياسة المالية فكان يرى عطايا عثمان لمروان بن الحكم وأخيه حارث فينكر ذلك ويستنكره، وكان يتلو قول الله عز وجل: ﴿... **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾[1]، وقد شكى مروان بن الحكم إلى عثمان من قول أبي ذر، فأرسل عثمان إليه من ينهاه، فقال أبو ذر: "أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله؟!"، ولم يتوقف أبو ذر حتى ألح في نقده واستنكاره لهذه السياسات حتى أمره عثمان بالخروج من المدينة والذهاب إلى معاوية في الشام.

وعند وصوله الشام صار ينتقد معاوية أشد الانتقاد لجمعه المال وبناء القصور الفارهة فانتقده بشكلٍ كبير لبناء قصر الخضراء، وقال: "إن كنت بنيتها من مال المسلمين فهي الخيانة، وإن كنت بنيتها من مالك فهذا إسراف"، وكان يقول: "ويلٌ للأغنياء من الفقراء"، حتى أصبح الناس يسمعون له ويتجمعون حوله، فخاف معاوية أن ينقلب أهل الشام عليه فكتب إلى عثمان يشكو له أبا ذر، فأمر عثمان بأن يجلبوا له أبا ذر إلى المدينة، فلما بلغ المدينة أصبح يقول: "وبشر الأغنياء بمكاوٍ من نارٍ تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم"، وحتى أصبح يطعن بعثمان

(1) [التوبة: 34]

حتى ضاق به عثمان فنفاه خارج المدينة إلى الربذة، فمات هناك غريباً وحيداً، حتى عجزت زوجته عن دفنه، لولا مرورُ حجاجٍ من أهل العراق فدفنوه.

- **عمار بن ياسر:**

اشترك عمار مع جماعةٍ من أصحاب النبي ﷺ في كتابة كتاب يلومون فيه عثمان، وكان عمار هو من تجرأ على حمله والذهاب به إلى عثمان. فقرأ عثمان جزءاً منه، فشتم عمار وأمر به فضربوه حتى أصيب بفتق وكان شيخاً كبيراً. وعندما مات أبو ذر منفياً في الصحراء حزن عليه عمار وأصبح يلوم عثمان، فغضب عثمان وأمر بنفيه إلى الربذة كما نُفي أبو ذر. فغضب لذلك علي بن أبي طالب، فأقبل على عثمان ولامه بنفي أبي ذر، وطلب منه أن يترك عماراً، ويتراجع عن قراره. حتى تشاجرا وكاد ينفيه هو أيضاً قائلاً له: "ما أنت بأفضل من عمار وما أنت أقل استحقاقاً للنفي منه"، وبعد وساطة المهاجرين ووجهاء المدينة تراجع عن قرار النفي بخصوص عمار وعلي.

لكن تلك الحادثة أنكرها العديد من الفقهاء[1].

بداية إثارة القلاقل من الخارج

سبب بداية القلاقل والسخط على حكم عثمان شخصٌ يدعى عبدالله بن سبأ. وهو من يهود صنعاء ومعروف بابن السوداء، أظهر الإسلام ووقف موقف العلماء، حاول التأثير في الأعراب والأمصار والذين دانوا حديثاً بالإسلام. جعل يطعن في الخليفة عثمان واتهمه:

1. أنه عين الولاة لقرابتهم منه.

(1) فمن حيث سند الرواية، الحديث الذي يُستند عليه في تلك الرواية مروي عن سالم بن أبي الجعد وهو ضعيف السند. إلا أنّ الإمام الذهبي وثّقه وقال أن أحاديثه مخرجة في الكتب الستة، ثم قال أنه مدلس، قال عنه ابن سعد: "كان ثقة، له أحاديث صالحة"، وقد وثّقه يحيى بن معين وأبو زرعة الرازي والنسائي، كما روى له الجماعة. وأما الرواية الأخرى ففيها الأعمش عداده في صغار التابعين، لم يدرك عثمان ولا عليا ولا عمارا؛ وقد وضح ذلك ابن عبدربه في كتابه العقد الفريد.

2. اتهمه بأنه تخلف عن غزوة بدر، والحقيقة أنه تخلف لأنه كان متزوجاً ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت مريضةً، فأمره الرسول ﷺ بتمريضها ولهُ الأجر، وضرب له بسهم.

3. توليه يوم أحد عن المعركة.

قال ابن عمر: فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له.

4. تخلفه عن بيعة الرضوان.

بيعة الرضوان: كانت في مستهل ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، تحت شجرة سمرة في مكان بالقرب من مكة يسمى بالحديبية.

وسبب البيعة أن الرسول ﷺ أرسل عثمان إلى مكة يفاوضهم، فوصله خبر أنهم قتلوه واستبطأ في رجوعه فبايع أصحابه على ذلك، ووضع كفه على الأخرى وقال: (**هذه لعثمان**).

وقال الله عنهم: (**لقد رضيَ الله عن المؤمنين ...**)، وقال ﷺ: (**أنتم خير أهل الأرض**)[1].

5. حَمْيُه الحِمَى: ومنها حَمْيُه الحِمَى، فلما قدم أهل مصر المدينة واستقبلهم عثمان رضيَ الله عنه قالوا له: ادع بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأ حتى أتى قوله تعالى: ﴿**قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون**﴾[2]

فقالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى، ءالله أذن لك أم على الله تفتري؟

فقال عثمان رضيَ الله عنه: امضه .. نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى، فإن عُمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لِما زاد من إبل الصدقة[3].

6. جمع القرآن، وحرقه للمصاحف الأخرى كمصحف ابن مسعود ومصحف أُبي، وجمعه الناس على مصحف زيد بن ثابت. وكان علي رضيَ الله عنه يقول لهم: (يا أيها الناس لا تغلوا في

---

(1) رواه البخاري.

(2) [يونس: 59]

(3) رواه البزار في كشف الأستار، وابن أبي شيبة في المصنف.

عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً أو قولوا له خيراً في المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل من المصاحف إلا عن ملأٍ منا)[1].

وفي رواية: (... إلا عن ملأٍ منا جميعاً -أي الصحابة-، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل)[2].

قال حذيفة بن اليمان لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ في الكتب، ففزع لذلك عثمان بن عفان وجمع الصحابة، وفيهم علي بن أبي طالب رضيَ الله عنهم، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: أن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، فقالوا: ما ترىٰ؟ قال: نرىٰ أن نجمع الناس علىٰ مصحف واحد فلا تكون فُرقه، ولا يكون اختلاف، فقالوا: فنِعْمَ ما رأيت[3].

وأتىٰ (ابن السوداء) عبدالله بن سبأ من اليمن إلىٰ المدينة، وأثار هذه الشُّبه فلم يجد لها قبولاً في المدينة، فتوجه إلىٰ مصر والعراق ووجد للشُّبَهِ مرتعاً خصباً، فتواعد أهل الفتنة فيما بينهم، وقبل موسم الحج أتوا إلىٰ المدينة بعد أن صار لعبدالله بن سبأ أتباعاً، ووصل الأمر إلىٰ الخليفة فجمع أمراء الأمصار في موسم الحج سنة 34هـ وقد رأىٰ عثمان أن يلين لهم ويؤلف قلوبهم.

وفي ذي الحجة من عام 35هـ جمع المتمردون أنفسهم من البصرة، والكوفة، ومصر، وبدأوا في التوجه ناحية المدينة المنورة؛ لمطالبة عثمان بالرجوع عن موقفه وعزل بعض الأمراء الفاسدين من بني أمية، وطلبوا مناظرة عثمان رضيَ الله عنه في ما وصلوا إليه من مطاعن في حقه وأظهروا أنهم أتوا للحج. وقد قسموا أنفسهم مجموعات:

- مجموعة أهل مصر، وعليهم الغافقي بن حرب، وعبدالله بن سبأ.
- مجموعة أهل الكوفة، وعليهم عمرو بن الأصم، وزيد العبدي.

---

(1) رواه ابن أبي داود.

(2) رواه ابن أبي داود.

(3) رواه الطبراني وأصله في صحيح البخاري.

- مجموعة أهل البصرة، وعليهم حرقوص بن زهير السعدي، وحكيم بن جبلة العبدي.

وواجهوا عثمان إلا أنه قابلهم بالحجج وأوضح لهم موقفه فلم يقتنعوا وتظاهروا بالطاعة والرجوع إلى بلادهم.

وكانت المعارضة تشتد في الولايات وتصل أصداؤها إلى المدينة، وتشتد في المدينة فيصل أصداؤها إلى الولايات البعيدة فتزداد جرأة، حتى كتب أصحابُ الرسولِ المقيمون في المدينة إلى أصحابهم خارج المدينة بالقدوم إليها، لتصحيح ما اعوَجّ من أمور الخلافة. فتكاثر الناس واجتمعوا في المدينة سنة 34هـ، ولاموا عثمان على سياسته ثم كلفوا الإمام علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان فيكلمه. فدخل عليه وقال له بعد أن مدحه كلاما منه: "تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهَدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إنَّ كُلّاً لبَيِّن، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر، ضَلَّ وضُلَّ به، فأمات سنةً معلومةً، وأحيا بدعةً متروكة".

خطب بعد هذه المقابلةِ عثمانُ في الناس ينذرهم ويحذرهم، ثم ذهب إلى بعضٍ من اللين، ولكنه بقي على موقفه ورغم أن علي بن أبي طالب لم يكن راضياً على ما كان يفعله عثمان، إلا أنه وضع في ذلك اليوم ولديه الحسن والحسين أمام بيت عثمان ليقوموا بحمايته. أرسل بعدها عثمان يطلب قدوم معاوية وعبدالله بن أبي سرح وعبدالله بن عامر وسعيد بن العاص إلى المدينة للاجتماع بهم.

فاستشارهم عثمان عند قدومهم في كيفية التعامل مع المعارضة، فأشار له معاوية بأن يترك التعامل مع المعارضة على عاتق العمال (حكام الأقاليم)، وأشار له سعيد بقتل قادة المعارضة، وأشار له عبدالله بن أبي سرح بأن يرشوهم من المال ليسكتوا، وأشار إليه عبدالله بن عامر أن يشغل المسلمين في الحرب والفتوحات الإسلامية. فعمل عثمان برأي عبدالله بن عامر.

وما أن دخل عام 35هـ حتى ثار أهل الكوفة على حاكمهم سعيد -كما ذكرنا آنفاً- وطلبوا أن يُولى عليهم أبو موسى الأشعري. وظهر للناس بأن الثورة هي الطريق الوحيد لتنفيذ مطالبهم.

ولم يكن للمصريين حل سوى أن يرسلوا وفداً إلى المدينة يطلبون فيه من عثمان كف عماله عن التسلط على رقاب المسلمين ومقدراتهم. فخرجوا في 35 وفداً ضخماً في رجب من عام 35هـ، يُظهرون أنهم يريدون العمرة. فأرسل لهم عثمان جماعة من المهاجرين والأنصار على رأسهم علي بن أبي طالب، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري ليلتقوا بهم في قرية خارج المدينة. فخرج لهم علي ومن معه فوعدهم على لسان عثمان أن ينفذ مطالبهم، وقدم وفد منهم إلى عثمان في داخل المدينة فخطب بهم وأثنى عليهم وأعطى التوبة واستغفر الله، وبكى وأبكى الناس ورضوا بما قطعه عثمان على نفسه من عهود. وغادر وفد المصريين المدينة عائدين إلى ديارهم.

وما أن عادت وفود المصريين إلى مصر حتى تلقاهم عبدالله بن أبي سرح بعد أن عرف بأمرهم، فضرب رجلاً منهم فقتله –كما أسلفنا– ومرت الأيام دون أن يُعزل عبدالله بن أبي سرح، فتواعد المصريون مع أهل الكوفة والبصرة للقدوم إلى المدينة بعد أن استيأسوا من وفاء الخليفة بعهوده، فتحركوا في شوال من نفس السنة صوب المدينة. وما أن وصلت وفود المعارضيَن إلى ضواحي المدينة، طلب عثمان من علي أن يخرج لهم فأبى، وأبى كذلك محمّد بن مسلمة، وقال: لا أكذب الله في السنة مرتين.

وانتهى الأمر بعزل ابن أبي سرح، وتولية محمّد بن أبي بكر الصديق، فسار ومعه جمع من الصحابة، فبينما هم في الطريق إلى مصر. أزعجهم رجل يركب بعيراً فأوقفوه بعد أن شكوا فيه، وظهر أنه مبعوث من عثمان إلى والي مصر ويحمل معه كتاباً له، ففتحوا الكتاب المختوم وفي الكتاب أمرٌ من الخليفة إلى عبدالله بن أبي سرح يدعوه فيه إلى قتل المعارضيَن الذين قدموا إلى المدينة، وقيل أن حامل الرسالة هذه هو أبو الأعور السلمي.

فأرسل المصريون إلى أهل العراق الذين تفرقوا عنهم يرجعوهم إلى المدينة ودخلوا المدينة بسرعة حتى فاجأوا من فيها، فذهبوا إلى عثمان وقالوا له: هل هذا غلامك؟ –يقصدون حامل الكتاب–، فقال: نعم إنه غلامي، انطلق بغير علمي. قالوا: هل هذا جملك؟، قال: أخذه من الدار بغير أمري. قالوا: هل هذا خاتمك؟ فقال: نقش عليه. فقالوا له: إن لم تكتب أنت الكتاب فسلمنا من كتبه.

وهنا ارتفعت مطالب المعارضيَن الذين تحولوا إلى ثوار، فطالبوا بأن يَعزِل عثمانُ نفسه وأن يولي من كبار الصحابة خليفةً بدلاً عنه. فرفض عثمان ذلك وهو معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(يا عثمان إن الله سيلبسك ثوباً، فإن أرادوك على نزعه فلا تنزعه)**.

وما كان من هؤلاء الخوارج إلا الاعتصام في المدينة حتى تنفذ مطالبهم، وكانوا خلال ذلك لا يضايقون عثمان وكانوا يصلون وراءه.

حتى كتب عثمان إلى عماله كتاباً يدعوهم فيه إلى إرسال مقاتلين حتى ينصروه على هؤلاء الخوارج، فعلم الخوارج بأمر الكتاب فبدأ الحصار وتغيرت سيرتهم مع عثمان.

فخرج عثمان على المنبر يلعنهم فتشاجر القوم بالأيدي حتى ضُرب عثمان فسقط مغشياً عليه وحُمِلَ إلى بيته، وضربوا حصاراً على بيته ومنعوه الخروج منه. وقيل: أنه خطب الجمعة، فسبوه وهو على المنبر وجروا لحيته ورموه بالحجارة حتى أُغمِي عليه.

ثم أخذت الأمور تصل إلى حدها بالتأزم، عندما قُتل أحدهم وهو: نيار بن عياض الأسلمي، عندما رمى أحدُ المحاصرين في دار عثمان سهماً نحوه. فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي، ودخلوا إلى عثمان في بيته فتَسَوّرُوا عليه مِن خلف البيت وذلك لأن الحسن، والحسين، ومحمّد بن طلحة، وعبدالله بن الزبير، وأبو هريرة، كانوا يحرسون البيت من جهة الباب.

فلما تسوروا عليه وجاءوه فقتلوه، وكان الذي أدخلهم هو محمّد بن أبي بكر الصديق، وكان قبل قتله أخذ بلحية عثمان، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني. فتراخت يده.

وقد كان محمّد بن أبي بكر الصديق ربيب الإمام علي، لأن علياً تزوج بأمه أسماء بنت عميس بعد موت أبيه أبي بكر الصديق.

وهذا مما جعل بني أمية ومنهم معاوية يطالبون الإمام علي بقتلة عثمان، ومنهم محمّد بن أبي بكر، ومنهم مالك (الأشتر) النخعي، وهو أحد الذين كانوا مع أهل العراق وشارك في التأليب على عثمان.

وكان محمّد بن أبي بكر، والأشتر النخعي، من المقربين من الإمام علي فاتهم بنو أمية الإمام بالمواطأة على قتل عثمان.

لما رأى الإمام علي الإمام علي اجتماع الغوغاء من الخوارج السبئيين وأحس أنهم يتربصون شراً بعثمان، أتى إليه وعرض عليه أن يجمع له مقاتلة المدينة، فرفض عثمان فرمى الإمام علي عليه بعمامته، وهم وقوف على باب بيت عثمان وقال له: **﴿ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾**[1].

حتى بلغ الأمر ذروته، فاقتحموا الدار وتشابكوا مع أهله فأصابوا عبدالله بن الزبير بجراحاتٍ كثيرة، وصُرع مروان بن الحكم حتى اعتقدوا أنه مات، وقتل عثمان بن عفان في يوم الجمعة 18 من ذي الحجة سنة 35هـ، ودُفِن بالبقيع[2].

---

(1) [يوسف: 52]

(2) البداية والنهاية لابن كثير.

ولاية الإمام علي عليه السلام

بيعة الإمام علي بالخلافة:

بعد قتل عثمان اجتمع الناس من أهل المدينة ومعهم أصحاب الفتنة إلى الإمام علي وطلبوا مبايعته بالخلافة. فقال لهم: هذا ليس لكم إنما هو إلى أهل بدر.

وكان أبرز الشخصيات في المدينة من أهل بدر طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، فأتى هؤلاء الناس إليهم وألزموهم ببيعة الإمام علي بالإكراه والسيف على أعناقهم. ثم تتابع الناس على بيعته في المدينة، وكان رأي الحسن أن أشار على والده بالانتظار حتى تأتيه البيعة من أهل الأمصار، خاصة بيعة معاوية في الشام، وقال له: إن الناس لن يجتمعوا على أحد غيرك وستأتيك البيعة ولو كنت في جحر ضب. فقال له الإمام علي: ما كنت لأبحث عنها وقد بايعني أهل المدينة.

ردود الفعل بعد البيعة

بدأ الإمام علي عليه السلام في تغيير الولاة من قوم عثمان وممن كان الناس يتهمونهم بالإسراف والإفساد، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وكان والياً على الشام.

ردة فعل معاوية: بما أنه من أولياء دم عثمان فإنه طالب بأن يسلم إليه قتلة عثمان فلم يسلمهم علي إليه لأن معاوية لم يبايع علياً.

كان عدد الغوغاء (الخوارج) السبئيين ألفي مقاتل وكان في المدينة ستمائة مقاتل فقط من الصحابة وأبنائهم، فطلب عثمان من معاوية أن يمده بجيش فتباطأ في ذلك. فعندما اتهم معاوية بني هاشم بالتباطؤ في نصرة عثمان، وقال ابن عباس: فقد كنتَ أفرحَ الناسِ بقتل عثمان؛ فقد طلب منكَ أن تُمِدّه بجيش فتباطأت حتى قتل، ثم ظهرت بعد ذلك مطالباً بحقه أو بدمه.

قال عمرو بن العاص لابن عباس: يا بني هاشم أما والله لقد تقلدتم لقتل عثمان قرم الإماء العوارك أطعتم فساق أهل العراق في عتبة وأجرتموه مراق أهل مصر وآويتم قتلته فقال ابن عباس: إنما تَكلم لمعاوية، وإنما تَكلم عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان، أما أنت يا معاوية فزينت له ما كان يصنع حتى إذا حُصِر طلب منك نصرك فأبطأت عنه، وأحببت قتله، وتربصت به وأما أنت يا عمرو فاضطرمت المدينة عليه، وهربت إلى فلسطين تسأل عن

أبنائه، فلما أتاك قتله أضافتك عداوة علي أن لحقت بمعاوية فبِعت دينك منه بمصر، فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرّض لك عمرو، وعرّض نفسه. تاريخ الذهبي.

ثم إن طلحة، والزبير، وعائشة، طالبوا بدم عثمان وبما أن القتلة كانوا ذووا عدد وفي جيش علي عليه السلام فإنهم جمعوا جمعاً من المقاتلين ولمقاتلة قتلة عثمان.

من ردود الفعل: أن طلحة نقض بيعة الإمام علي.

من ردود الفعل: كان زوجات الرسول ﷺ قد خرجن في بداية الفتنة قبل قتل عثمان إلى الحج في مكة هروباً من الفتنة، فلما أتاهم خبر قتل عثمان بعد أيام التشريق جلسوا في مكة.

من ردود الفعل: استأذن طلحة والزبير من الإمام علي أن يعتمرا وتبعهما خلق كثير.

خرج عبدالله بن عمر إلى مكة بعد أن طلبه الإمام علي للقتال معه ضد أهل الشام فاعتزل ابن عمر وأبى أهل المدينة أن يقاتلوا أهل الشام مع علي.

قدِم والي اليمن في عهد عثمان يعلى بن أمية، ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم.

وقدم والي البصرة عبدالله بن عامر.

واجتمع خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين.

واتفقوا على المطالبة بدم عثمان، وانتهى أمرهم إلى أن يخرجوا إلى البصرة في العراق.

بعد أن مرت أربعة أشهر على بيعة علي ولم يؤخذ بدم عثمان خرجوا إلى البصرة ليستعينوا بأهلها على القصاص من قتلة عثمان رضيَ الله عنه.

وجهز الناس يعلى بن أمية، وعبدالله بن عامر.

واختلف أمهات المؤمنين في الخروج مع عائشة إلى البصرة، وخرجت عائشة رضيَ الله عنها ورجع أمهات المؤمنين إلى المدينة.

فخرج إلى البصرة مع عائشة؛ طلحة، والزبير، وابن الزبير، ومروان بن الحكم.

فبينما هم في طريقهم إلى البصرة إذ مّروا على ماء الحوأب، فنبحت الكلاب على جملها الأحمر، فسألت: ما اسم هذا المكان؟ فقالوا: ماء الحوأب، فقالت: ردوني، ردوني. قالت: قال

رسول الله ﷺ: (**أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب**)، فقال لها الزبير: عسى الله أن يصلح بك بين الناس[1].

فقالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال لها طلحة والزبير: مهلاً رحمكِ الله .. بل تتقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظنني إلا راجعة، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذات يوم: (**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**).

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ وهو عند أزواجه: (**ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فينبحها كلاب حوأب، يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت**)[2].

والحوأب: منزل بين مكة والبصرة، وهو الذي نزلته عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل.

والجمل الأدبب: أراد الأدَبَّ، فأظهر التضعيف، والأدبّ: هو الكثير الوبر، وقيل: الكثير وبر الوجه.

فغلبها ابن الزبير وطلحة والزبير على رأيها، وقالوا لها ما في الحديث السابق. فواصلت المسير معهما. فلما وصلوا إلى البصرة اجتمع أهل البصرة.

لما علم الإمام علي بخروج عائشة ومن معها إلى البصرة، أرسل الحسن وعماراً يستنفرون أهل الكوفة.

وصل أصحاب الجمل إلى البصرة، ولم يكن لهم غرض في القتال، بل أرادوا جمع الكلمة والقصاص من قتلة عثمان، وأرادوا الاستعانة بأهل البصرة بعيداً عن المدينة المنورة، التي صارت في تلك الأيام معقلاً لقتلة عثمان وأنصارهم، وكان في البصرة نفر من دعاة الفتنة الذين خرجوا على عثمان، فعمل هؤلاء النفر من دعاة الفتنة على التحريض ضد أصحاب الجمل، فقرّر عثمان بن

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البزار.

حُنيف والي البصرة، من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يمنع أصحاب الجمل من دخول البصرة، وأرسل إليهم حكيم بن جبلة العبدي، من أجل ذلك.

فقام طلحة ثم الزبير يخطبان في أنصار المعسكرين، فأيدهما أصحاب الجمل، ورفضهما أصحاب عثمان بن حنيف، ثم قامت أم المؤمنين عائشة تخطب في المعسكرين، فتثبت معها أصحاب الجمل، وانحازت إليها فرقة من أصحاب عثمان بن حنيف، وبقيت فرقة أخرىٰ، مع ابن جبلة واختلف الفريقان، وكثر بينهما اللغط، ثم تراموا بالحجارة ثم قام حكيم بن جبلة العبدي، بتأجيج الفتنة والدعوة إلىٰ القتال، وقام بسبّ أم المؤمنين عائشة، وقَتَل كل من أنكر عليه ذلك هذا، ودعاه أصحاب الجمل إلىٰ الكف عن القتال فلما لم يستجب حكيم بن جبلة العبدي، وأنصاره لدعوة الكف عن القتال؛ كّر عليهم أصحاب الجمل، فقُتل حكيم بن جبلة العبدي، ثم اصطلح أصحاب الجمل مع عثمان بن حنيف، علىٰ أن تكون دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال في يد ابن حنيف، وينزل أصحاب الجمل في أي مكان يريدونه من البصرة. وقيل أن حكيم بن جبلة العبدي قُتل بعد هذا الصلح لـمّا أظهر المعارضة.

بعدها وصل الإمام علي بن أبي طالب إلىٰ البصرة فمكث فيها ثلاثة أيام والرسل بينه وبين طلحة والزبير وعائشة فأرسل القعقاع بن عمرو إليهم، فقال للسيدة عائشة: أي أماه، ما أقدمك هذا البلد؟! فقالت: أي بني، الإصلاح بين الناس. فسعىٰ القعقاع بن عمرو بين الفريقين في الصلح واستقر الأمر علىٰ ذلك، وقرر الفريقان الكف عن القتال، والتشاور في أمر قتلة عثمان بن عفان، وقرر علي بن أبي طالب أن يرحل في اليوم الذي يليه علىٰ ألا يرتحل أحد من قتلة عثمان، فاجتمع رؤوس السبئية، ومثيرو الفتنة وشعروا أن هذا الصلح سينتهي بتوقيع القصاص عليهم، فخافوا علىٰ أنفسهم، وقرروا أن ينشبوا الحرب بين الجيشين، ويثيروا الناس ويوقعوا القتال بينهم فيفلتوا بهذا بفعلتهم، فرجع القعقاع إلىٰ علي، فأخبره فأعجبه ذلك، وأشْرفَ القوم علىٰ الصلح، كره ذلك من كره، ورضيَه من رضيَه، وأرسلت عائشة إلىٰ علي تُعلِمُه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، فقام علي في الناس خطيباً، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالأُلفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيهم ﷺ علىٰ الخليفة أبي بكر

الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة، أقوام طلبوا الدنيا، وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ثم قال: ألا إني مرتحل غداً، فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس. فلما قال هذا، اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبدالله بن سبأ -المعروف بابن السوداء-، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ما هذا الرأي؟! وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غداً يجمع عليكم الناس وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟. فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلا اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلح على دمائنا، ثم قال ابن السوداء -قبّحه الله-: يا قوم إن عيركم في خُلطة الناس، فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعوا.

وقد ورد أن الإمام علياً دعا الزبير بين الصفين، حتى أن دوابهما لتختلف أعناقهما، فقال الإمام علي: ناشدتك الله .. أما تذكر قول النبي ﷺ: أتحب علياً؟ فقلت: وكيف لا أحبه وهو ابن عمي وابن خالي وعلى ديني؟!، فقال: لتقاتلنه وأنت ظالم له.

فانسحب الزبير من الصف، ورجع إلى المدينة، فقتله عمرو بن جرموز في أحد الأودية وهو نائم.

بات كلا الفريقين فرحين بالاتفاق السلمي الذي تمّ.

وفي اليوم التالي مع طلوع الفجر؛ نفذ السبئية خطتهم فنهضوا قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل، فانصرف كل فريق إلى قرابتهم، فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا: خرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا ملأٌ من أصحاب علي، فبلغ الأمر علياً، فقال: ما للناس؟. فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللّأمَة، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وقامت الحرب على ساق وقدم، فتبارز

الفرسان وجالت الشجعان، فنشبت الحرب وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومنادي علي ينادي: (ألا كفوا! ألا كفوا!) فلا يسمع أحد.

وكان الإمام علي يتألم كثيراً مما يحدث من إراقة الدماء بين المسلمين، فروى ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح عن الحسن بن علي قال: لقد رأيته -يعني علياً- حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول: (يا حسن لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة -أو سنة-) ورُوي أيضاً: أن علياً قال يوم الجمل: (اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت).

انتهى القتال وقد قتل طلحة بن عبيدالله بعد أن أصابه سهم في ركبته، وقيل في نحره وقيل أن قاتله، مروان بن الحكم.

وقد حزن أمير المؤمنين علي كثيراً، لمقتله فحين رآه مقتولاً؛ جعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: (عزيز عليّ أبا محمّد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء)، ثم قال: (إلى الله أشكو عُجري وبُجري[1])، وبكى عليه هو وأصحابه.

ولما جاء قاتل الزبير -لعله يجد حظوة- ومعه سيفه الذي سلبه منه، ليقدمه هدية لأمير المؤمنين؛ حزن عليه حزناً شديداً، وأمسك السيف بيده وقال: طالما جلّى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: (**بشر قاتل ابن صفية بالنار**)، ولم يأذن له بالدخول عليه.

أما عن عائشة رضيَ الله عنها؛ فلما ظهر علي جاء إليها فقال: (غفر الله لكِ) قالت: (ولكَ، ما أردت إلا الإصلاح)، ثم أنزلها دار عبدالله بن خلف، وهي أعظم دارٍ في البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات، وزارها ورحبت به، وبايعته وجلس عندها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كلاً منهما مائة جلدة، وأن يجردهما من ثيابهما، ففعل.

ثم ردها إلى المدينة معززة مكرمة، كما أمر رسول الله ﷺ: (**إذا كان ذلك فرُدَّها إلى مأْمنِها**)، فأرسل معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، وسيّر معها أخاها محمّد بن أبي

(1) قال الأصمعي: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي. وقال محمّد بن يزيد: معناه همومي وأَحزاني، وقيل: ما أُبدِي وأُخفِي.

بكر الصديق، فكانت عائشة بعد ذلك، إذا ذكرت ذلك تبكي حتىٰ تبل خمارها ندماً علىٰ مخالفتها الإمام علي عليه السلام.

نتيجة معركة الجمل

النتيجة أن مخالفة ولاية الإمام علي عليه السلام وهو مرجعية الأمة في ذلك الوقت، ويقوم بإمامته مقام رسول الله ﷺ، فلو مضوا في بيعته ولم يخرجوا عن طاعته في معركة الجمل، لما حصلت هذه المعركة وقتل فيها خيرة الصحابة، ومنها ظهرت الخوارج كقوة، وترتبت علىٰ نتائجها مفاسد كثيرة وكبيرة في الأمة، حيث قامت بعدها معركة صفين، والنهروان ومذبحة كربلاء، وانتقلت الخلافة الراشدة الشوروية إلىٰ حكم عاض، يتوارثونه فيما بينهم، ووقعت وقعة الحرة ورُميت الكعبة بالمنجنيق، وتفرقت الأمة وأصبح الحكم دولاً؛ كالدولة الأموية والعباسية والعثمانية، (**وأصبحت الغنيمة مغرماً**)، أي استأثر بها السلاطين وحاشيتهم دون الرعية، ولم تقسم كما في كتاب الله، ومنذ تلك المعركة افترق المسلمون إلىٰ سنة وشيعة، فعاشت الأمة بين النصب والرفض، وأصبح كل فريق يحاول أن يغلب علىٰ الفريق الآخر.

ثم تولىٰ أعداء الله من اليهود والنصارىٰ، حتىٰ أصبح اليوم يحكمنا اليهود والنصارىٰ من داخل ديارهم.

ويتبرأ بعضنا من بعض، ودسّ بعضنا علىٰ بعض الجواسيس والعملاء، يعملون علىٰ تفريق الأمة وتشتيتها، وصارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان، ويتلاعب بها الخدم والنسوان، حتىٰ خرج المُلك من قريش بل ومن العرب قاطبة قال رسول الله ﷺ: (**هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنين**).

وحوربت العترة الطاهرة وهمش دورهم كمرجعيات للأمة، بل وشردوا وطوردوا وقتلوا، واتخذت مرجعيات من غير العترة بل أنه اتخذت مرجعيات تؤمن بالطاغوت، وتشرع له الحكم بغير ما أنزل الله فوصلنا إلىٰ ما وصلنا إليه اليوم، ولن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله.

فلا بد من ظهور الإمام المهدي عليه السلام مرجعية الأمة وإمامها الخاتم ليصلح الأصول والعقائد التي انبنت عليها الأمة، منذ تلك الحقبة البعيدة حتى يجمعها على أصول صحيحة ثابتة وتجتمع وتعود كما كانت خلافة على منهاج النبوة.

معركة صفين

صفين: موضع بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وهي صحراء ذات كداء، وأكَمَات، وبها كانت الوقيعة العظيمة بين علي ومعاوية.

المعركة:

عندما ولي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة امتنع معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام عن مبايعته خليفة للمسلمين، زعماً منه حتى يقتص من قتلة عثمان فأرسل علي بن أبي طالب جرير بن عبدالله البجلي، إلى معاوية للمبايعة، وعندما قدم جرير إلى الشام استشار معاويةُ عمرَو بن العاص، فأشار إليه بجمع أهل الشام والخروج نحو العراق للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان.

هذا زعماً منه! وإلا فقد اشترط إذا أراد أن يبايع علياً أن يوليه على الشام ومصر، وألا يُبايِع لأحد بعده.

فقال علي: هذه خديعة، وقد سألني المغيرة بن شعبة أن أولي معاوية الشام، وأنا بالمدينة فأبيت ذلك، ﴿**وما كنت متخذ المضلين عضداً**﴾[1].[2].

بعد أن أعاقت معركة الجمل خروج الإمام علي إلى الشام أنهى الفتنة التي كانت في البصرة في العراق ثم بعد ذلك أرسل عدة مراسيل إلى معاوية في الشام فخرج إليهم بجيش متجهاً إلى الشام، وكان أول خروجه أن جمع جنده بالنخيلة وهو على بعد ميلين من الكوفة، فتوافدت عليه القبائل من نواحي العراق وبعث أميرُ المؤمنين علي من النخيلة زيَّاد بن النضر الحارثي طليعة في

---

(1) [الكهف: 51]

(2) البداية والنهاية لابن كثير.

ثمانية آلاف مقاتل وبلغ الإمام علي بجيشه قرقيسيا فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته، وعسكر بصفين فتقدم علي إلى الرقة وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين.

التقى الجيشان ودارت فيما بينهم رحى المعارك تسعة أيام، قُتل فيها عمار بن ياسر وهو من أصحاب الإمام علي، قال رسول الله ﷺ: **(تقتل عماراً الفئة الباغية)**[1].

نتائج المعركة

كانت الغلبة والانتصارات لجيش علي، إلا أن أصحاب معاوية بقيادة عمرو بن العاص دعوا إلى خطة لوقف انتصارات جيش علي، فرفعوا المصاحف على أسنة الرماح، ومعنى ذلك أن القرآن حكمٌ بينهم، فخرج عشرون ألف مقاتل من جيش علي حاملين سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد، قال رسول الله ﷺ: **(يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)**[2].

فنادوا علياً باسمه لا بأمير المؤمنين: (يا علي! أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم)، فأجابهم علي: (ويُحكُم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه).

من هنا نفهم كيف غدرت الأمة بالإمام علي كما قال رسول الله ﷺ: قال علي: إن مما عهد إليّ النبي ﷺ: **(أن الأمة ستغدر بك من بعدي)**.

وعلى اختلاف الروايات الواردة عن عدد القتلى في المعركة من الطرفين، إلا أن المؤرخين قالوا أنه مبالغ فيها، وقد ورد أنه قتل من جيش معاوية 45,000، ومن جيش علي 25,000، ما مجموعة سبعون ألفاً.

---

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

التحكيم

انتهت المعركة فيما بينهم بالتحكيم فكان أبو موسى الأشعري، من طرف الإمام علي، وعمرو بن العاص من طرف معاوية، ورجع علي بجيشه إلى الكوفة، ورجع معاوية بجيشة إلى الشام.

خروج الخوارج

الذين ألزموا الإمام علي بقبول التحكيم فإنهم عارضوه بعد رجعوهم، وكيف أنه قبل بتحكيم الرجال في دين الله، فقال لهم الإمام علي: أنتم من ألزمني بالتحكيم. قالوا: قد كَفَرْنا بإلزامك بالتحكيم، ونحن نتوب من كُفْرِنا، لكنك ما زلت في الكفر فتب من كُفْرك.

والسبب: أنهم يكفرون بالمعصية، ويرون أن تحكيم الرجال على كتاب الله معصية، يكفر صاحبها.

ثم إنهم كانوا في المسجد يوم الجمعة، وعلي يخطب على المنبر يرفعون أصواتهم بقولهم: ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾[1].

فقال لهم الإمام علي: إنّ لكم علينا ثلاثاً: (ألّا نبدأكم بقتال ما لم تستحلوا الدم الحرام، وألا نمنعَكم مساجدنا، وألا نمنعَكم الغنيمة ما قاتلتم معنا).

فالتقوا بعبدالله بن خباب، فقالوا: ما تقول في علي؟ قال: إمام هدى. فقتلوه هو وامرأتَه وبقروا بطن امرأته، وهي حامل، وكانوا قد مروا به على بستانٍ لأحد النصارى وفيه تمر، فالتقط أحدُهم تمرة، فقالوا له: دعها فإنها لرجل نصراني لا تحل لك، له ذمة الله وذمة رسوله. فقال عبدالله بن خباب: فدمي أشد حرمة من التمرة. فقالوا: إنك مرتد كافر، وقتلوه.

ثم إن الإمام علي طالَبَ الخوارج بتسليم قتلة عبدالله بن خباب، فرفضوا تسليمه وقالوا: كلنا قتله.

فجهز الإمام علي لهم جيشاً، وقاتلهم وهم من قال النبي ﷺ عنهم: (**قتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار، شر قتلى تحت أديم السماء**).

---

(1) [الأنعام: 75]

وقبل أن يلتحم الصفان في القتال، أرسل إليهم ابن عباس يناظرهم فرجع منهم بالمناظرة أربعة آلاف من جملة اثني عشر ألفاً. ثم قاتل الإمام علي من تبقى منهم وقتلهم في موقعة النهروان.

حديث الرسول ﷺ في الخوارج

وهم الذين قاتلهم علي وعلامتهم صاحب العضد، روى البخاري ومسلم قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: **(ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟!، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)**. فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيّه فاضرب عنقه. فقال: **(دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تُدَرْدِر،** -أي تضطرب- **ويخرجون على حين فرقه من الناس)**. قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمس فأُتِيَ به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته.

وفي رواية: **(يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان)**.

وعن نافع بن مسلمة الأخنسي قال: (كان ذو الثدية، رجلاً من عُرنة، من بُجَيْلة، وكان أسود شديد السواد له ريح منتنة، معروف في العسكر وكان يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله) البداية والنهاية.

وفي رواية مسلم: **(مخدّج اليدّ)**، المخدج أي: ناقص اليد.

مؤامرة الخوارج على قتل الإمام علي

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير، أن ثلاثة من الخوارج وهم عبدالرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجَم الحميري المرادي. والبُرَك بن عبدالله التميمي، وعمرو بن بكر

التميمي، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليٍ إخوانهم من أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟! كانوا من خير الناس، وأكثرهم صلاة وكانوا دعاة الناس إلىٰ ربهم، لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البُرك بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجلٌ منهم عن صاحبه حتىٰ يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمُّوها واتّعَدوا لسبع عشر من رمضان، أن يبيِّت كُل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه، فأما ابن ملجم فسار إلىٰ الكوفة فدخلها وكتم أمره حتىٰ عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، ثمّ ضّمّ إليه رجلاً من تيم الرِّباب، يقال له وِردان، ليكون معه ردءاً واستمال رجلاً آخر، يقال له شَبيب بن بَجَرة الأشجعي الحروري، فجاء هؤلاء الثلاثة وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السُّدَّة التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل يُنَهِّضُ الناس من النوم إلىٰ الصلاة، ويقول: الصلاة .. الصلاة. فثار إليه شَبيب بالسيف فضربه فوقع في النطاق فضربه ابن ملجم، بالسيف علىٰ قرنه، فسال دمه علىٰ لحيته رضيَ الله عنه، ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله، ليس لك يا علي، ولا لأصحابك وجعل يتلو قوله تعالىٰ: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد**﴾(1)، ونادىٰ علي: عليكم به، وهرب وِردان فأدركه رجل من حضرموت؛ فقتله، وذهب شبيب فنجىٰ بنفسه، وفات الناس، ومُسِك ابن ملجم، وقدَّم عليٌّ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلىٰ بالناس صلاة الفجر وحُمل عليٌّ إلىٰ منزله وحمل إليه ابن ملجم، فأوقف بين يديه وهو مكتوف قبحه الله فقال له: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟! قال: بلىٰ، قال: فما حملك علىٰ هذا؟! قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شّر خلقه، فقال له عليّ: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شّر خلقه، ثمّ قال: إن مِتُ، فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به، ولما احتُضر عليٌّ، جعل يكثر من قول: لا إله إلا

(1) [البقرة: 207]

الله، لا ينطق بغيرها، وقد قيل أن آخر ما تكلم به: **﴿فمن يعمل مثال ذرة خيراً * يره ومن يعمل مثال ذرة شّراً يره﴾**(1).

"وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ووصاهما بأخيهما محمّد بن الحنفية، ووصاه بما وصاهما به وأن يُوعظهما ولا يقطَعَ أمراً دونَهما، وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضيَ الله عنه وأرضاه"(2).

وهذا دليل على ولايته وإمامته فقد وصى ابنيه كما وصى يعقوب: **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فقال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك﴾**(3).

فمات الإمام علي، وقتلوا ابن ملجم.

ولاية الإمام علي ومرجعيته كانت قائمة في الصحابة ومعمول بها كقول عمر: لولا علي لهلك عمر. وكقوله لأبي بكر حينما أراد أن يخرج بنفسه لقتال المرتدين، فقال له الإمام علي عليه السلام: لا أقول لك إلا كما قال رسول الله ﷺ: **(ضمّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك)**، فرجع أبو بكر.

ولقد بايع أبو بكر وكان معه، وبايع عمر وكان معه، وبايع عثمان وكان معه، ولما ثار عليه الناس؛ كان ناصحاً له إلا أن عثمان لم يستجب لكثير من نصائحه، فكانت الفتنة، ولما تولى الخلافة كان حكيماً في التعامل في الأحداث التي عصفت بالصحابة وبالمنطقة، لكنهم لم يستجيبوا لحسن تدابيره، فكانت الفتنة كمعركة الجمل، وصفين، وخروج الخوارج، وأكثر من خالفه ندِم على ذلك؛ كالزبير وأم المؤمنين عائشة رضيَ الله عنها، فقد قضت بقية عمرها في ندم وبكاء وذلك أنها علمت أن الحق مع علي، وعلي مع الحق، وشهد بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم أم سلمة.

---

(1) [الزلزلة: 7-8]

(2) البداية والنهاية.

(3) [البقرة: 133]

عن ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(علي مع الحق، والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة)**[1].

وفي رواية: **(عليٌّ مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)**.

وفي رواية عند الطبراني عنها أيضاً تقول: **(كان علي على الحق، من اتبعه اتبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهد معهود قبل يومه هذا)**.

وفي رواية؛ لما سار علي إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق، والحق معك ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله، فإنه أمرنا رسول الله ﷺ، أن نقّر في بيوتنا؛ لسرت معك ولكن، والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر.[2]

ولاية الإمام الحسن عليه السلام

تولية الإمام الحسن الخلافة

لما قتل الإمام علي عليه السلام توجه الناس إلى تولية الإمام الحسن كخليفة ومرجعية للأمة، سار الإمام الحسن بجيش لم يُسمع بمثله لقتال معاوية، فلما اجتاز بالمدائن عسكر بظاهرها فصرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قُتل. فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً.

وكان قيس بن سعد بن عبادة أمير مقدمة الجيش ولم يقتل وإنما كان صارخ كذب، فانتهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه، فكرههم الحسن كراهية شديدة، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن، فنزله وهو جريح، وكان

(1) رواه الخطيب البغدادي.

(2) رواه الحاكم.

عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: ماذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي، فتقيده وتبعثه إلى معاوية. فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أأغدر بابن بنت رسول الله ﷺ؟!. ولما رأى الحسن تفرق جيشه عليه، مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم، وأن يكون خراج دار أبجرد له، وألا يسبّ عليّ وهو يسمع، فوافق معاوية.

وبعث الحسن إلى أمير مقدمة جيشه قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، فأبى قيس من قبول ذلك وخرج عن طاعتهما جميعاً واعتزل بمن أطاعه، ثم رجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب.

قال النبي ﷺ في الإمام الحسن: **(إن ابني هذا سيّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)**[1].

عارض كثير من أهل العراق الصلح مع معاوية، وقال بعضهم: سودت وجوه المؤمنين. وقال بعضهم: كأنما كُسرت ظهورنا من الغيظ. ودخل بعضهم عليه فسلم عليه قائلاً: " السلام عليك يا مذل المؤمنين ".

ثم إن وفاته كانت كما قيل بالسم، حتى أن الطبيب كان يتردد عليه، فقال: إن هذا رجل قطّع السّمُ أمعاءه. وذلك لكثرة سقيه السمّ، واختُلِف فيمن سقاه السمّ.

وبما أن الإمام الحسن عليه السلام هو من أئمة العترة والمرجعية فإن فعله في الصلح مع معاوية كان خيراً له وللأمة، وبه يقتدى ولا عبرة بمن عارضه.

ومن فعله هذا يدل على أن الولاية ليست هي الملك، ولو كان فعله هذا مخالفاً للإمامة والولاية ما سماه رسول الله سيداً.

(1) رواه البخاري.

فضائل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام

أبو محمّد الحسن وأبو عبدالله الحسين هما حفيدا رسول الله ﷺ، من ابنته فاطمة الزهراء، وأبوهما الإمام علي بن أبي طالب ولقد ولدا ونشئا في بيت النبوة وسماهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهما من العترة الطاهرة التي طهرها الله وأذهب عنها الرجس، المتبعيّن للكتاب والسنة والمبتليّن بالأثرة عليهما. عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، والبيت غاص بمن فيه، قال: **(ادعوا لي الحسن والحسين)**، فدعوتهما فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعلت أرفعهما عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ففتح عينيه فقال: **(دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما، فإنه سيصيبهما بعدي أثرة)** ثم قال: **(يا أيها الناس إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي أما إن ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)**[1].

ولهم فضائل نذكر على سبيل الإيجاز لا الحصر منها ما يلي:

1. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**[2].
2. وعن حذيفة قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟!)** قال: قلت: بلى. قال: **(فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضيَ الله عنها)**[3].
3. عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(هما ريحانتاي من الدنيا)**[4].

---

(1) رواه الإمام زيد في المسند.

(2) رواه الترمذي وأحمد.

(3) رواه الترمذي وأحمد.

(4) رواه البخاري.

4. عن أسامة بن زيد رضيَ الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: (**اللهم إني أحبهما فأحبهما**) أو كما قال.[1]

5. عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: (**اللهم إني أحبه فأحبه**).

6. عن عبدالله قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوهم، أشار إليهم أن دعوهما فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال: (**من أحبني فليحب هذين**)[2].

7. عن زهير بن الأقمر قال: بينما الحسن بن علي يخطب بعدما قتل علي رضيَ الله عنه إذ قام رجل من الأزد آدم طِوال، فقال لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته يقول: (**من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب**) ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم[3].

8. عن خالد بن معدان قال: وفد المقدام بن معدي كرب، وعمرو بن الأسود إلى معاوية، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟! فرجّع المقدام. فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟! فقال: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره، وقال: (**هذا مني وحسين من علي رضيَ الله عنهما**)[4].

9. عن زينب بنت أبي سلمة أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة فحمل حسناً من شق، وحسيناً من شق، وفاطمة في حجره فقال: ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾[5].

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه النسائي.

(3) رواه أحمد.

(4) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في سنن أبي داود وقال: إسناده قوي.

(5) رواه الطبراني في الأوسط.

10. عن علي أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شملة وجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه فعقد عليهم، ثم قال: (**اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راضٍ**)[1].

11. وفي رواية عن أبي هريرة رضيَ الله عنه أنه قال لهم: (**أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم**)[2].

12. وفي رواية أنه قال لفاطمة: (**إني وإياك وهذين، وهذا الراقد** -يعني علياً- **في مكان واحد يوم القيامة**)[3].

أبو عبدالله الإمام الحسين عليه السلام

بعد الصلح بعشر سنوات توفي الإمام أبو محمّد الحسن بن علي مسموماً وكان معاوية مازال حياً، مما سوغّ له أن يعهد بالبيعة لابنه يزيد بحكم أن الصلح قام بينه وبين الحسن.

أما الإمام الحسين فإنه في زمن الفتنة شارك في معركة الجمل وصِفين والنهروان التي خاضها مع والده الإمام علي، وخضع لإمامة أخيه الحسن، والتزم ببنود الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، إلا أنه بعد موت معاوية وأخذ البيعة يزيد بن معاوية خلافاً لمعاهدة الصلح، فأبى الحسين عن مبايعته، وقال: إن مثلي لا يبايع مثلَه. ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه فأقام فيها أشهراً، ودعاه إلى الكوفة أشياعه فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الأمويين فأجابهم وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله، وناشده عبدالله بن عباس اللهَ والرحم أن لا يخرج.

فحدثه ابن عباس ولكن الحسين رفض، وكذلك نصحه ابن عمر فقال له: أنت بضعة من رسول الله ﷺ ولم يبق أحد غيرك، فلما أصّر الحسين على المضي إلى العراق احتضنه ابن عمر وودعه وقال له: استودعك الله من قتيل.

---

(1) أخرجة الطبراني في الأوسط.

(2) رواه أحمد والطبراني.

(3) رواه الطبراني.

ونصحه أخوه محمّد بن الحنفية ألا يذهب إلى العراق وليلحق بالصحراء حتى يجتمعوا إليه فيها.

ولكن الإمام الحسين أصّر فلم يَخرج معه أخوه محمّد بن الحنفية.

وكان قد أرسل قبله مسلم بن عقيل إلى أهل العراق ليستوثق منهم.

بداية المعركة:

- اجتمع أنصاره في الكوفة في بيت سليمان بن صرد، وكتب للحسين ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم – للحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبه، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، فغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك.
- تحرك ابن عقيل من مكة حاملاً معه رسالة الحسين إلى أهل الكوفة، وأخذ معه دليلين من أهل الكوفة لكنهما تاها في الطريق، ولقيا حتفهما من العطش، إلا أن مسلم وصل سالماً إلى الكوفة واستقبل الكوفيون مسلم بن عقيل بكثير من الحفاوة، وتلا ابن عقيل عليهم كتاب الحسين فخنقتهم العبرات، وتعالت نداءات المناصرة للحسين، فتروي المصادر أن عدد المبايعين في ذلك اليوم كان ثمانية عشر ألفاً، فأرسل مسلم برسالة للحسين يطلب منه القدوم إلى الكوفة. كانت هذه الأحداث تصل إلى مسامع والي الكوفة الأموي النعمان بن بشير، فلم يكن يقوم بشيء غير نصح الناس على المنبر بترك مبايعة الحسين، وكان الأمويون من أهل الكوفة يرون أن النعمان إما ضعيف أو أنه يتظاهر بالضعف، بفعل عدم اتخاذه إجراءات عسكرية ضد الملتفين حول ابن عقيل، حتى وصل الأمر أن اتهموه وهو على المنبر بالضعف،

فأجابهم أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أكون من الأعزين في معصية الله، فقام بعض أهل الكوفة بإرسال رسالة إلى يزيد يخبرونه بمجريات الأمور وبما رأوه تقاعساً لأميرها من والي الكوفة. مع وصول هذه الكتب إلى يزيد أشار سُرجون وهو أحد مستشاري يزيد وكان مساعداً لمعاوية إلى يزيد بعزل النعمان عن ولاية الكوفة وتأمير عبيد الله بن زياد عليها، لوسع حيلته وتدبيره وكان أميراً على البصرة، فسارع يزيد بالأخذ بنصيحة سرجون وعيّن عبيدالله أميراً للكوفة، وأمره بالتحرك إليهما بسرعة قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة، لم يضيع عبيدالله بن زياد كثيراً من الوقت، فترك على حكم البصرة أخاه عثمان بن زياد، ودخل إلى الكوفة متلثماً يلبس عمامةً سوداء مقلداً ملابس الحسين، ولا يكلم أحداً ويصحبه بعض أصحابه، وكان أهل الكوفة ينتظرون الحسين، فلما رأوا عبيدالله ظنوه الحسين، واستقبلوه بالورود، فتحرك الموكب حتى وصل القصر، عندها كشف عن هويته الحقيقية لحراس القصر، فدخل دار الإمارة وعزل النعمان، وما أن علم أهل الكوفة به حتى أصابتهم كآبة وحزن شديد. قام ابن زياد بالخطبة بالناس محذراً إياهم عما سماه الفتنة وحذر المناصرين للحسين بالقتل والسجن والملاحقة الشديدة، ثم بعد ذلك بدأ بعملية بث الجواسيس داخل المدينة للوصول إلى مسلم بن عقيل، المختبئ هناك فأرسل شخصاً يدعى معقل، ومعه ثلاثة آلاف درهم يحملها إلى مسلم بن عقيل، ويتظاهر بأنه أجنبي جاء من خارج الكوفة فاستطاع أن يصل إلى مسلم بن عقيل الذي كان موجوداً في بيت هانئ بن عروة، وهو أحد أنصار الحسين، فأعطاه المال وغادر المكان متجهاً إلى ابن زياد ليبلغه بمحل اختباء مسلم بن عقيل، شك ابن عقيل بالرجل فغادر بيت هانئ، وما هي إلا فترة قليلة وأصبحت الدار محاصرة بالشرطة الذين لم يجدوا في الدار إلا هانئ، فاعتقلوه واستجوب عبيدالله هانئ بن عروة لمعرفة مكان مسلم بن عقيل إلا أن هانئ لم يفصح عن مكانه قائلاً: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فأمر مسلم بن عقيل رجاله بالنهوض، فنهض معه أربعة آلاف، توجهوا جميعهم إلى القصر وحاصروه، فأمر عبيدالله أنصاره بإثارة الشائعات في الكوفة وإخبار الناس حول جيش أموي جرار قادم من الشام سيفتك بكل من يقف ضد الدولة، كما قام برشوة زعماء

بعض القبائل ليقوموا بتخذيل أقاربهم عن نصرة مسلم، وبالفعل حدثت بلبلة كبيرة في الكوفة وبدأ الناس بالتفرق من حول مسلم حتى إذا حان الليل، أغدى وحيداً ليس معه أحد وصار يتجول في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، ظل مسلم يمشي وحيداً ليس معه من يدله على بيت يختبئ فيه وقد بلغ الحزن مبلغه، فوصل إلى دار امرأة تدعى (طوعة) فطلب منها الماء وبعد حديث دار بينهم عرفت أنه مسلم بن عقيل، فضربت رأسها من الصدمة وأقسمت على حمايته فاستقبلته في دارها وكان للمرأة ابن من أنصار الأمويين، فرأى مسلم في البيت وعرف أوصافه فأسرع لإبلاغ الشرطة بذلك، لم يمر وقت طويل قبل أن يحاصر منزل ابن عقيل، فخرج ابن عقيل يقاتل الجنود حتى لم يقدروا عليه على كثرة عددهم، فعرض عليه محمّد بن الأشعث الأمان مقابل أن يرمي سلاحه فقبل ابن عقيل ذلك فأدمعت عيناه عند اعتقاله فهّون ابن الأشعث عليه، فقال له: إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ولكني أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين، واقتادوا ابن عقيل إلى قصر الإمارة حيث عبيدالله بن زياد، الذي لم يكترث للأمان الذي وُعد به ابن عقيل، فأمر بقتله ورموه من فوق القصر وكان ذلك في 9 ذي الحجة سنة 60 للهجرة.

- وأما الإمام الحسين فإن ابن عباس لما غلبه على نفسه طلب منه أن يُرجع أزواجه وذريته وأهل بيته، وقال له: إني أخشى أن تقتل بين أهلك ونسائك كما قتل عثمان بين أهله ونسائه.
- لم يكن الناصحون للإمام الحسين كابن عمر وابن عباس وابن الحنفية يعارضونه في الخروج على يزيد ولكن كانوا يعارضونه أن يذهب إلى الكوفة، لما فيهم من التخذيل فقد قتلوا أباك وسمموا أخاك وأشار عليه ابن عباس أن يخرج إلى اليمن، فإن فيها أودية وشعاباً ولأبيك فيها شيعة.
- كان الناصحون للإمام الحسين لا يعارضونه في قضية مرجعيته وإمامته، وإنما كانوا يشيرون عليه من ناحية استراتيجية التعامل مع هذا الحدث، مثله في ذلك كمثل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر عندما نزل بأرض بدر وجعل البئر أمامه فقال له الحباب بن

المنذر: أرأيت هذا المنزل. أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه؟! أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! فقال: (**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**). فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتىٰ نأتي أدنىٰ ماءٍ من القوم فننزله ثم نغوِّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. قال رسول الله: (**لقد أشرت بالرأي**).

- من هنا نستنتج أن من عارض ولاية الإمام الحسين كانوا الناصبة من بني أمية أما من أشاروا عليه بالنصح في تعديل رأيه في طريقة الخروج كانوا يقتدون به في الخروج علىٰ بني أمية.
- غلب الحسين ناصحيه وسار نحو العراق بمن معه من أهله والنساء والأطفال. وكان قد كتب رسالة لأخيه محمّد بن الحنفية: (إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمّد ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمّد ﷺ وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولىٰ بالحق ومن ردّ عليَّ هذا، أصبر حتىٰ يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين) أ.هـ.

فخرج من مكة بعد أربعة أشهر وخمسة أيام قضاها فيها، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة وكان معه اثنان وثمانون وقيل ستون من كبار الكوفيين وأتباعه وأهل بيته، ولما خرج اعترضه صاحب شرطة أميرها؛ عمرو بن سعيد بن العاص، في جماعة من الجند فقال: إن الأمير يأمرك بالانصراف فانصرف وإلا منعتك فامتنع الحسين فتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط، وبلغ ذلك عمرو بن سعيد فخاف أن يتفاقم الأمر فأرسل إلىٰ صاحب شرطته يأمره بالانصراف.

- اجتازت قافلة الحسين الكثير من المنازل في طريقها إلىٰ الكوفة ومن هذه المنازل الصفاح حيث التقىٰ بالفرزدق (الشاعر المعروف) فقال له الإمام الحسين: كيف تركت أهل العراق؟ فقال: تركتهم قلوبهم معك وسيوفهم عليك، والأمر ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: نصحت يا فرزدق.

- فلما وصل الحسين منطقة الحاجر من بطن الرمة، كتب كتاباً إلى جماعة من أهل الكوفة وأرسله مع قيس بن المسهّر الصيداوي، انتهى به الأمر أن قُبض عليه ومَثُل أمام ابن زياد فأمره أن يسب علياً والحسين على المنبر، وإلا سيقتله فصعد المنبر وقال: (أيها الناس إن الإمام الحسين خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم وقد خلفته بالحاجر فأجيبوه) فقُتل قيس بن المسهر.
- روي أن الحسين قبل أن يصله خبر قتل مسلم بن عقيل، أرسل إليه كتاباً بيد أخيه من الرضاعة عبدالله بن يقطر، وفي الطريق اعترضه الحصين التميمي، وسيره إلى ابن زياد، فقال له: اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذب، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، فصعد فأعلم الناس بقدوم الحسين عليه السلام، ولعن ابن زياد وأباه، فأمر به ابن زياد، فرمي من أعلى القصر، فتكسرت عظامه، وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبدالملك بن عُمير اللخمي فذبحه. فبلغ خبرُ مسلم، وهانئ، وعبدالله بن يقطر، وقيس بن المسهّر، الحسينَ وهو في منطقة زبالة.
- أرسل الإمام الحسين إلى قبائل البصرة كتباً وكان رسوله مولى له اسمه سليمان، ويكنى أبا رزين فوصلت نسخة الكتاب إلى جميع أشرافها ثم إن الرسول قبض عليه، فأخذ عبيدالله بن زياد الرسول فصلبه.
- لما بلغ عبيد الله بن زياد خروج الحسين من مكة وأنه توجه نحو العراق بعث الحصين بن نُمير صاحب شرطته، ومعه أربعة آلاف فنظم الخيل وراقب خطوط الحركة، ووجه الحصين بن تميم الحر بن يزيد اليربوعي، من بني رياح وكان ضمن الأربعة الآلاف في ألف إلى الحسين، وقال سايره ولا تدعه يرجع حتى يدخل الكوفة، وجَعْجِع به ففعل حتى ألجأه إلى عدة أماكن آخرها (العَقْر) فقال الحسين: اللهم إني أعوذ بك من العَقْر.

كربلاء

في العاشر من محرم سنة 61هـ، نزل بمكانه وهو كربلاء.

- ولم يزل الحر يساير الحسين حتى بلغ كربلاء، فلما وصلها قال ما اسم هذه الأرض؟! فقيل كربلاء. فقال: اللهم أني أعوذ بك من الكرب والبلاء.
- وكان الإمام علي بن أبي طالب قد مّر بهذا المكان عند مسيره إلى صفين فوقف فسأل عنه فأخ بر باسمه فقال: ههنا محط ركابهم وههنا مهراق دمائهم فسأل عن ذلك فقال: ثِقَلٌ لآل بيت محمّد ﷺ ينزلون ههنا.
- وروي أن الحسين أمر بحط ركابه هناك وجمع ولده وإخوته وأهل بيته ثم نظر إليهم، فبكى ساعة ثم قال: (اللهم إنا عترة نبيك محمّد ﷺ وقد أُخرجنا وطردنا وأُزعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين).
- وأتى أمر يزيد بن معاوية إلى عبيدالله بن زياد وكتب به إلى الحُر بن يزيد أن ينزل الحسين على حكم يزيد بن معاوية فّرد الحسين بقوله: لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق، وقال: ماله عندي جواب، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب.
- عند ذلك غضب ابن زياد غضباً شديداً من جواب الحسين عليه السلام، وأمر بإعداد الجيش لمحاربته فوصل إلى كربلاء عمر بن سعد على رأس أربعة آلاف مقاتل من الكوفيين. وذلك مقابل إمارة عمر بن سعد بن أبي وقاص، للرَّيّ.
- وقد خرج بنو أسد في نجدة الحسين فعلم عمر بن سعد فأرسل إليهم أربعمائة فارس فتقاتلوا قتالاً شديداً وعلمت بنو أسد أنهم لا طاقة لهم بالقوم فانهزموا راجعين إلى حيهم.
- وفي اليوم السابع كتب ابن زياد إلى ابن سعد أن: حُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة. فأرسل ابن سعد في خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يستقوا منه قطرة.
- لما اشتد العطش على معسكر الحسين أرسل الحسين أخاه العباس لهذه المهمة وأمره أن يستسقي الحرائر والصبية وضمّ إليه عشرين راجلاً وثلاثين فارساً وقصدوا الفرات بالليل وجاءوا بالماء إلى معسكر الحسين بعد اقتتال.

- حصلت حوارات بين الحسين عليه السلام، وبين ابن سعد وصلت إلى أن الحسين طلب من ابن سعد أن يكون معه ولكنه أبى، فخاف ابن سعد أن تُهدم داره وتُصادر ضيعته وتَذَرّعَ بحجج واهية، فلما اشتد الحصار على الإمام الحسين، قال لهم: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أذهب في هذه الأرض العريضة. فأبوا عليه وقام شِمر بن ذي الجوشن بتحريض ابن زياد فقال له ابن زياد: نِعْمَ ما رأيت الرأي رأيك فاخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فيعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإذا فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت أمير الجيش فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه، وصل شِمر إلى كربلاء وسلم الكتاب إلى عمر بن سعد فلما قرأ ابن سعد الكتاب قال له: مالك ويلك لا قرّب الله دارك قبح الله ما قدمت به عليّ والله أني لأظنك أنت الذي نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه وأفسدت علينا أمراً كنا قد رجونا أن يصلح لا يستسلم والله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه. فقال له شِمْر: أخبرني بما أنت صانع أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه وإلا فخلي بيني وبين الجند والعسكر. قال: لا، ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولى ذلك دونك.
- لما عُرض على الحسين النزول على حكم ابن ياد قال الإمام الحسين: **﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر جبار﴾**[1].
- وطلب عبدالله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة من ابن زياد أن: بني أختنا مع الحسين فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت. فكتب لهم أماناً. وأم البنين هي فاطمة بنت حزام الكُلَّابِية زوجة الإمام علي عليه السلام، والتي تزوجها بعد وفاة زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ.
- وبعث بالكتاب مع مولى له فلما قدم عليهم قال: هذا كتاب، هذا أمان من خالكم بعث به إليكم. فقال له الفتية: ألا حاجة لنا في أمانكم.

(1) [غافر: 27]

وقيل أن هؤلاء الفتية الذين قرء عليهم الأمان هم: العباس وجعفر وعثمان وعبدالله أبناء علي بن أبي طالب رضيَ الله عنه.

- بعد أن رفض الفتية كتاب الأمان بدأ الجيش بالزحف عليهم. وكان مع الإمام الحسين 32 فارساً و40 راجلاً من المشاة، وأعطى رايته أخاه العباس بن علي.
- بدأ رماة الجيش الأموي يمطرون الحسين وأصحابه بوابل من السهام وأصيب الكثير من أصحاب الحسين ثم اشتد القتال ودارت رحى الحرب وغطى الغبار أرجاء الميدان واستمر القتال ساعة من النهار ولما انجلت الغبرة، كان هناك خمسين صريعاً من أصحاب الحسين واستمرت رحى الحرب تدور في الميدان وأصحاب الحسين يتساقطون الواحد تلو الآخر واستمر الهجوم والزحف نحو من بقي مع الحسين وأحاطوا بهم من جهات متعددة وتم حرق الخيام، وتساقط أصحاب الحسين واحداً تلو الأخر منازلة، ومنهم: ولده علي الأكبر، إخوته عبدالله، عثمان، جعفر، محمّد، وأبناء أخيه الحسن، أبو بكر، والقاسم، والحسن المثنى ابن أخته زينب، وعون بن عبدالله بن جعفر الطيار، وآل عقيل: عبدالله بن مسلم، عبدالرحمن بن عقيل، جعفر بن عقيل، محمّد بن مسلم بن عقيل، عبدالله بن عقيل.
- بدأت اللحظات الأخيرة من المعركة عندما ركب الحسين جواده يتقدمه أخوه العباس بن علي بن أبي طالب حامل اللواء، إلا أن العباس ذهب إلى بحر العلقمي وهو جزء من نهر الفرات ليأخذ الماء إلى الحسين وأصحابه، ولكن العباس لم يستطع أن يشرب شربة ماء واحدة إيثاراً لأخيه الحسين، وسرعان ما وقع صريعاً من جنود العدو، ولم يبق في الميدان سوى الحسين الذي أصيب بسهم فاستقر السهم في نحره وراحت ضربات الرماح والسيوف تمطر جسده، ثم إن شِمّر بن ذي الجوشن قام بفصل رأس الحسين عن جسده بضربة سيف، ومضى شهيداً وأهل بيته شهداء.
- كانت هذه الحادثة في عاشوراء يوم الجمعة في المحرم سنة 61 هـ، وعمر الإمام الحسين 56 سنة.

- ولم ينج من القتل إلا علي بن الحسين الملقب بعلي زين العابدين، لأنه كان مريضاً وارتمت عليه عمته زينب، فنجا من القتل فحفظ الله فيه نسل أبيه من بعده.
- ساقوا علي بن الحسين، وساقوا النساء سوّق السبي، ومن بقي من الأطفال أسارى إلى يزيد بن معاوية إلى الشام، ومعهم رأس الإمام الحسين عليه السلام.

من هو قاتل الحسين؟:

هناك جدل أزلي حول من كان المسؤول عن قتل الحسين عليه السلام، ففي نظر الشيعة والذي يوافق بعض أهل السنة عليه مثل: ابن كثير في البداية والنهاية، وابن الأثير في الكامل، وابن خلدون في العبر، والإمام الذهبي في تاريخ الإسلام. فإن يزيد لم يكن ملتزماً بمبادئ الإسلام في طريقة حياته وحكمه وكان هو المسؤول الأول عن مقتل الحسين.

وأميل أنا إلى أن يزيد هو المسؤول الأول، خاصة وأنه أَكْرَمَ من قتلوا الحسين وثبتهم في مناصبهم، وولَّاهم وكانوا هم بطانته والمقربين منه، ويعتبر يزيد هو رأس غلاة الناصبة. الذين سبوا ولعنوا وقتلوا آل بيت رسول الله ﷺ.

الخروج على مبدأ الشورى

يعتبر معاوية هو أول من خرج على مبدأ الأمة حيث سن سنة التوريث في الحكم وخالف شورى المسلمين.

ويعتبر يزيد أول صورة حية واقعية لتلك السنة السيئة؛ سنة التوريث والتي تعاني منها الأمة إلى اليوم، وقد كان أسوء حاكمٍ في تاريخ الأمة الإسلامية.

الإمام الحسين عليه السلام ما كان خارجاً على سلطان عدل، وإنما كان مصلحاً لظلمٍ وفسادٍ عظيم.

وكان يزيد يشرب الخمر ويؤخر الصلاة ويسفك الدماء. وكان الإمام الحسين إمام الأمة ومرجعيتها في ذلك العهد ولو قدر له أنه أزال ذلك الحاكم الفاسد لما عاشت الأمة قروناً من الفساد إلى يومنا هذا.

الإمام الحسين عليه السلام

لقد ضحى بنفسه وماله وولده، قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد**﴾[1].

وبقي أناس إلى يومنا هذا يدافعون عن هؤلاء السلاطين ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، ويؤصلون لهم أصولاً فاسدة، ويضعون لهم قواعد مخالفة للدين، ويزينوها لهم في أعينهم، حتى صار الحق باطلاً والباطل حقاً، وحكم الأمة سلاطين الظلم والجور، وعاشت الحكم العاض، والحكم الجبري، فمتى تفيق أمة الإسلام؟! ومتى ترجع إلى أئمتها ومرجعياتها من العترة الطاهرة؟!

وبسبب هذه المعركة دخل الصراع المذهبي في أشد وأخطر وأقبح صورة خاصة بين السنة والشيعة.

إن معاوية وابنه يزيد هم اللذين خرجوا عن شورى الأمة، وليس الإمام الحسين هو الذي خرج عليهم.

تأملات في مأساة كربلاء

1. في معمعة الحرب ومحيط الفزع والخوف احتضن الإمام الحسين أحد أطفاله وأقعده في حجره يقبله ويشمه ويودعه فرماه أحدهم بسهم فذبح ذلك الغلام فتلقى حسين دمه في يده، وقال: رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير وانتقم لنا من الظالمين.
2. في كربلاء قتل الأطفال والرجال أمام مرأى من النساء فظللن يصحن ويولولن ولا مغيث ولا مناصر ولا مجيب ولا مشفق على حالهن بل أنهن سقن سوق السبي من العراق إلى الشام، حتى أدخلوهن من باب السبي على المجرم يزيد بينما في عهد رسول الله ﷺ يمر أبو هريرة بشنتين من سبي بني قريظة على آبائهن وأزواجهن وهم قتلى، فإحداهن شعثت شعرها وبكت ونثرت التراب عليه فقال رسول الله ﷺ: (**أليس في قلبك رحمة يا أبا هريرة؟**). فعاتبه على مروره بهن على جثامينهم، وكان الرسول ﷺ يأمر بعدم حد الشفرة أمام البهيمة، وفي حادثة

(1) [البقرة: 207]

كربلاء افتقدت كل معاني الرأفة والإنسانية وليتهم حتى عاملوهم معاملة حد الشفرة عند البهيمة!

3. سيق علي بن الحسين الملقب بالسجادة وعلي زين العابدين موثقاً من العراق إلى الشام وهو مريض، وحُمِل هو ونساؤه وأطفالهن على محامل بلا قتاد، بينما لم ينم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أُسر عمه العباس يوم بدر وهو كافر لاشتداد الوثاق عليه بسبب أن المسلمين عملوا بقول الله: ﴿**فشدوا الوثاق**﴾[1]، حتى أمرهم بأن يخففوا عليه الوثاق لموقفه ودفاعه عنه في مكة.

4. وخرج طفل من الخيمة مذعوراً يلتفت يميناً وشمالاً فإذا فارس يقصده فضربه بالسيف فقطع رأسه، هذا في حق ابن بنت رسول الله ويفعل به هكذا ورسول الله ﷺ يرى يمامة مذعورة قد أخذ بيضها أو صغارها فيقول: (**من ذعر هذه في صغارها؟!**).

ولما دخل عليه أحد المشركين المسجد وخلفه أبو بصير بسيفه فقال: (**هذا رجل مذعور**).

وكان يحرص على ألا يذعر أو يخيف أحداً، دخل عليه أعرابي فلما رآه ارتجف فقال: (**له هون على نفسك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة**).

أين هؤلاء من أدب الإسلام وأخلاقه؟! يسجد رسول الله ﷺ ويتعلق الحسن والحسين على ظهره فيطيل السجود كراهية أن يقطع عليهما لعبهما!.

أين هذا الخلق ممن يقطع على طفل حياته وهو في حضن أبيه يودعه؟!.

5. اشتد عطش الحسين فخلص إلى شربة ماء من نهر الفرات بعد قتل وقتال، فلما شربها رماه حصين بن تميم بسهم في حنكه فأثبته، ثم قاتل طوال اليوم وقتل وهو عطشان.

أين هذا من رحمة رسول الله ﷺ بولد فاطمة؟!

فقد ورد أن الحسين وهو طفل كان يصيح من شدة العطش ولم يكن في ثدي أمه لبناً، فلما سمعه رسول الله ﷺ أدلع له لسانه فظل الغلام يمص لسان جده.

---

(1) [محمّد: 4]

6. انتحب الرسول ﷺ على حمزة عندما قتل في معركة أحد وهو يعلم أنه قُتل على يد المشركين أي أنه شهيد، وقاتله لم يكن دخل الإسلام حتى يعرف فضله ولما أسلم قال له رسول الله ﷺ إذا سمعت بي بأرض فلا تنزل بها، وسبب ذلك ألا تأخذه حمية الثأر لعمه حمزة، هذا ردة فعل الرسول ﷺ في من لم يسلم، وجهل مقام حمزة رضيَ الله عنه، فكيف بقاتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وهم مسلمون ويعلمون فضل آل البيت ومنزلة الحسين عليه السلام؟! وكيف لو حضر الرسول ﷺ مقتل الحسين عليه السلام وكيف سيعاملهم؟!.
7. أوصاهم الرسول ﷺ بآل بيته قبل موته فكان يقول: (**أوصيكم الله في آل بيتي**)، وفي يوم كربلاء كانت الوصية من عبيد الله بن زيّاد أن اقتلوهم.
8. حمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية، فأخذ عوداً فنكت في الوجه الشريف، ورسول الله ﷺ كان يقبل ذلك الوجه، فأين هذا من هذا؟!
9. الحسين عليه السلام كان صحابياً وابن العترة الطاهرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن فاطمة الزهراء عليها السلام؛ قد أوصى الرسول بآل بيته وبأصحابه فلم يرع يزيد بن معاوية مودة العترة وحبَّ الصحابة، ففعل ما فعل، وما زال إلى يومنا هذا من يهضم حق الحسين وينصب له العداء ويدافع عن يزيد بن معاوية ولم يكن للأخير صحبة ولا هو من العترة.

ومن نتائج كربلاء وقعة الحرة

بعد مأساة كربلاء والذي حصل فيها للإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء، وآلِ بيتِه الأطهار، وما حدث في تلك الفترة من الظلم الوخيم والتغير العظيم على الأمة، وبعد تلك الحادثة العظيمة التي غيرت كثيراً من وجه التاريخ، وإلى يومنا هذا مازلنا نعاني من تلك المأساة، وبالطبع التهمة في تلك الحادثة ليست لجميع الأمة أو لأهل العراق، إنما الفئات التي شاركت في هذه المعركة هي المتهمة، ولذلك كانت الأمة تغلي غلياناً شديداً، وليس بيدها شيءٌ تفعله، فسطوة الظالمين كانت ممتدة بقوة، وبعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنواتٍ نقض أهل

المدينة بيعة يزيد بن معاوية، لأسبابٍ عدة، ومنها أن وفداً خرج من المدينة إلىٰ الشام، وكان علىٰ رأسهم عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر، فزاروا يزيد فأحسن إليهم وأحسن لهم العطاء ثم رجعوا إلىٰ المدينة، وفي المدينة التقوا بالمهاجرين والأنصار وأبناء الأنصار وبعضِ التابعين، وجلسوا يتكلمون ويحدثونهم في شأن يزيد، فنقلوا لهم صورة سيئة عن حقيقة يزيد وما كان عليه. ومما نقلوه أنهم رأوه يشرب الخمر ولا يحضر الصلوات لكثرة سكره، وما هو عليه من الفساد العظيم، ومع غليانهم من قضية كربلاء إضافة إلىٰ هذه المفاسد الأخرىٰ، عزم أهل المدينة فيما بينهم أن ينقضوا بيعة يزيد بن معاوية، فأعلنوا نقض البيعة وطردوا والي المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، ثم اجتمع بنو أمية في قصر الإمارة وكانوا في المدينة نحواً من ألف، اجتمعوا فحاصروهم داخل القصر، ثم امتد الغليان والثورة إلىٰ مناطق أخرىٰ، فوصلت مكة، فأعلن عبدالله بن الزبير أيضاً خلع والي مكة، وأعلن لنفسه البيعة (في مكة والحجاز كاملة)، وتتابعت الأحداث وغلت الأوضاع في الحجاز، حتىٰ وصل الخبر يزيد بن معاوية، فقام بدوره بمراسلة بعض قياداته السابقة فأرسل إلىٰ عمر بن سعد وإلىٰ غيره، وكان يطلب منهم أن يتوجهوا ويقودوا جيشاً ضد أهل الحجاز، فكان هؤلاء القادة أنفسهم متأثرين بحادثة كربلاء، فهم الذين شاركوا فيها، فكلما يوجه أمر إلىٰ أحدهم يقولوا: اعذرنا يكفي ما حصل في آل بيت رسول الله. فقد وجدوا اللعنة عليهم قوية من الناس، وقال عمر: لا أكون أفسق الناس يجمع الله علي آل بيت رسول الله، وأصحاب رسول الله، وقال: اعذرني. وكلما وُجّه الأمر إلىٰ أحدهم اعتذر، حتىٰ أتىٰ علىٰ ذلك الشقي وهو مسلم بن عقبة المرّي، وسمي مسرفاً بسبب إسرافه في الدماء والفساد العظيم الذي أحدثه، وكان مسلم رجلاً قد شاب سنه، وكان مريضاً، وهو أحد القيادات، وكان سيئاً وجباراً من الجبابرة، استدعاه يزيد وعرض عليه العرض فوافق عليه، وقبل أن يوافق، سأل يزيد وقال: كم من بني أمية موجودون في المدينة؟ قال: ألف رجل. فقال مسلم: ألف رجلٍ ولم يخرج ويرفع واحد منهم السيف؟! أرىٰ أن تترك الأمر لهم، إما أن يجالدوا ويطيعوك وتعرف طاعتك إلىٰ أي مرحلة وصلت معهم وإلا دعهم فلا خير فيهم. فقال له يزيد: ويحك ومن أنا بغيرهم؟! -يقصد أنهم جالدوا وقتلوا؛ فمن أنا بغيرهم؟!-، فما زال به حتىٰ رضيَ ذلك الشقي، فخرج من الشام وجهز اثني عشر ألف مقاتل،

وأحسنوا لهم العطاء، وخرجوا، ووصاه يزيد بن معاوية وقال له: إذا أتيت أهل المدينة فأمهلهم ثلاثة أيام، فإن أجابوك وإلا قاتلهم، فإن ضفرت بهم استبح المدينة ثلاثة أيام خذ كل متاعها وكل شيء فيها لك غنيمة أنت والجيش، وبعد الأيام الثلاثة أمسك يدك عنهم، وإياك وعلي بن الحسين -زين العابدين-، فإنه قد أرسل إلي كتاباً أنه لم يدخل في شأنهم -وكأن الإمام علي قد أرسل إليه كتاباً أني ما دخلت في شأنهم ولا خرجت معهم ولا فعلت شيئاً-. سار مسلم بن عقبة حتى أتى على المدينة، وفي الطريق في وادي القرى التقى ببعض بني أمية حوصروا بعد أن أخذ عليهم أهل المدينة العهود والمواثيق على أنهم لا يمارئوا عليهم أحداً ولا يتآمروا عليهم مع أحد ولا يدلوا عليهم ولا يتدخلوا في شيء كي يتركوهم، فوافقوا وأخذوا عليهم العهود المغلظة وأطلقوهم، فأُطلق من كان في القصر من بني أمية وخرجوا من هناك متوجهين إلى الشام وكان منهم مروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان، فعندما التقوا بمسلم بن عقبة وهو مقبل بالجيش سألهم عن أهل المدينة، فكانوا خائفين لأنهم قد أعطوا أهل المدينة أيماناً مغلظةً، وإذا رجعوا فسوف يُقتلون، فقالوا له: دعنا في حالنا. فنهرهم الشائخ الخرف وسبهم وأغلظ عليهم في الكلام، وكان يأتي بهم الواحد تلو الآخر يسأله، فكان ممن سأله عثمان بن محمّد بن أبي سفيان وكان هو والي المدينة، ثم بعد ذلك أراد أن يستدعي مروان بن الحكم، فخاف مروان بن الحكم، على نفسه وقال لابنه ادخل أنت ودعني أتأخر ولا تدخلني عليه، فدخل عليه عبدالملك بن مروان، فسأله فحدثه بكل شيء ثم قال له: كيف تشير علي؟، قال: أشير عليك محاولة الدخول عليهم، ثم تفرق جيشك، وحاولوا بقدر الاستطاعة أن تأتوهم من أعلى الحرة الشرقية، فتدخلوا عليهم صبحاً عند شروق الشمس فإن الشمس ستكون في وجوههم، لأن أهل المدينة في الوسط بين الحرة الشرقية والحرة الغربية، فعندما تأتيهم من الحرة الشرقية تكون الشمس مشرقة على وجوه أهل المدينة، فلا يستطيعون قتالكم لعدم مقدرتهم رؤيةَ سلاحكم، فلا يستطيعوا أن يواجهوا بسبب ضربة الشمس، فعندها ستكون الصولة والجولة لكم.

وقبل أن يدخل عليهم عرض عليهم أن يبايعوا يزيداً وأن يتراجعوا، فحاول واشتد عليهم دون فائدة، ثم انتظر ثلاثة أيام، وبعد الثلاثة الأيام دخل عليهم من حيث قال له عبدالملك بن

مروان، فالتقى الصفين ودارت رحى معركة قوية في ما بينهم واستبسل المهاجرون والأنصار وأبناؤهم والتابعون وكل أهلِ المدينة استبسالاً قوياً، وكادوا أن يصلوا إلى مسلمِ بن عقبة، فهو قعيد لا يستطيع أن يتحرك من شدة المرض، لكنه قام من على سريرة واشتد على نفسه ودارت المعركة في ما بينهم، وفي آخر الأمر كانت الجولة له فقتل جمعاً كبيراً من المهاجرين وجمعاً كبيراً من الأنصار.

ومما رُوي أن أبا سعيد الخدري وقع في أيديهم وكان هرب إلى كهف في جبلٍ فلحقه أحد أهل الشام فلما وصل إليه أخذ سيفه، وكأنه يخيفه فوجد الرجلَ غير خائف من السيف ومقبلاً عليه بقوه، فأرجع سيفه في غمده، وقال له: لئن بسطت يديك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، فقال له: ومن الرجل؟ قال: أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله؟!. فرجع صاحب الشام وتركه فنجى من الموت. وبعد فترة من الزمن دخلوا على أبي سعيد في بيته فوجده أحدهم ولحيته ممعطة، فقال له: ويلك أتحلق لحيتك أو تأخذ من لحيتك؟! فقال: لا والله، ولكن يوم الحرة دخل أهل الشام فاستلبوا متاعنا من بيوتنا، ودخل منهم فريق إلى بيتي فاستلب كل ما فيه، ثم خرجوا ثم دخلت فرقة أخرى فلم يجدوا شيئاً، فقالوا: ابطحوا الشيخ وخذوا من لحيته، قال: فأردوني في الأرض ثم كان كل واحد منهم يأخذ مني شعرة أو شعرتين وهكذا، فهوا ما ترى.

واستحلت المدينة ثلاثة أيام.

وهناك روايات كثيرة جداً حول هذا الأمر حتى قيل أنهم استباحوا النساء أيضاً وعُطلت الصلاة في المسجد والله أعلم، وبعد ذلك أخذوا الرجال وساقوهم إلى مسلم بن عقبة فلما أجلسوهم أمامه كان يأكل تمراً ثم يرمي بنواته في وجوههم استهزاءً بهم ويأخذهم واحداً تلو الآخر ويقول لهم: بايعوا يزيداً على أنكم له خول[1]، وبالطبع كان ذلك بالنسبة لهم شيء عظيم فهم سادات قريش وسادات الأنصار، فلما اشتد عليهم قالوا: نبايع على كتاب الله وسنة الرسول، قال: بل تبايعوا على أنكم عبيد، ثم أخذ اثنين من قريش، فقال لهم: أتبايعون على أن تكونوا عبيداً، قالوا: نبايع على كتاب الله وسنة الرسول، فقال: دقوا أعناقهم. فضُربت أعناقهم ثم أتوا

(1) أي عبيد أو خدم.

بآخر، فقال له: بايع على أن تكون عبداً. قال: أبايع على كتاب الله وسنة الرسول. قال: دقوا عنقه. فقال: لا سأبايع على ما تريد. قال: والله لا رجعت عنك. فدَقوا عنقَه، وأخذ آخر، وقال له: ماذا تشتهي وما هو أحسن الطعام والشراب عندك. قال: العسل. قال: اسقوه العسل. فأتوا له بالعسل فسقوه، فشرب منه حتى شبع، فقال: شبعت؟ قال: نعم. قال: أتذكر يوم أن خرجت من الشام؟ قال: نعم. قال: وقلتَ أنك ستثيرها في المدينة على يزيد، وستخلعه، وماذا نفعل نحن قوم كذا وقوم كذا؟ -أي قبائل المدينة- على أنهم أصحاب قوة. قال: نعم. فقال: آليت على نفسي لئن لقيتك في معركة لأقتلنك. فقال: اقتلوه. قال: أسألك الله والرحم. قال: اقتلوه فأخذوه وقتلوه. فما زال بهم على هذا الحال حتى أتي بعلي بن الحسين وكان متوسطاً بين مروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان، وهو يمشي بينهما، فأجلسه فطلب عبدالملك ماءً فأعطوه فشرب منه قليلاً ثم أعطاه لعلي بن الحسين ليشرب، فأخذ الكأس، فقال له مسلم بن عقيل: لا تشرب من مائنا، فاهتزت يده، فحسب علي بن الحسين أنه قاتله، ثم قال له: أتيتَ بينهما لأنهم من بني أمية لكي يجيروك من السيف والقتل، والله إني لا أحفظ لهما جواراً، ولو كان جوارهما لقتلتك، ولكن أمير المؤمنين -يقصد يزيد- أوصاني من هناك ألا أقتلك. ثم أرجعهم فنجى من الموت، وهكذا استمر في قتل الصحابة، فقتل جمعاً كبيراً من أصحاب رسول الله، ومن أبناء الأنصار والتابعين وغيرهم، قُتلوا على يد هذا المجرم. وكل هذه النتائج التي نراها سببها قتلة الحسين، فلوا أن الله قدر للناس أن قاموا معه وأزالوا مثل هذا الحاكم، لما كانوا وصلوا إلى هذه المرحلة في أن يبايعوا على أن يكونوا خدماً وعبيداً، وتُستحل أعراضهم وتنتهك حرماتهم وتسبى نسائهم وأموالهم كغنائم، وغير ذلك من الفساد العظيم الذي حدث في يوم الحرة وكان ذلك عام 63هـ.

وبقي يوم تاريخياً تسجله الأمة بيوم الحرة، وبعد ذلك استمر يزيد في ملكه ثم أوصى بملكه لابنه معاوية وكان رجلاً صالحاً لكنه مات بعد شهرين، ولم يوصِ إلى أحد، ثم أخذ الملك مروان بن الحكم، وهكذا ظل بنو أمية يتوارثون الملك، فغيروا في الهدي وفي السنن، وقتلوا وذبحوا وسفكوا الدماء وأفسدوا في العباد والبلاد، حتى قدر الله عليهم فكان انقلاب بني العباس فساموهم سوم العذاب، وقتلوهم ثم أتت الدولة العباسية فكانت أسوأ من الدولة الأموية وساموا

العترة الطاهرة سوم العذاب، واستمروا في كثيرٍ من المفاسد فكان الحكم عاضاً، كما كان في بني أمية يتوارثونه فيما بينهم، حتىٰ وصل عهد الدويلات ثم انتقل من بعد عهد الدويلات إلىٰ الدولة العثمانية، ومن الدولة العثمانية إلىٰ الحكم الجبري، وهو الذي نعيشه اليوم والذي غُير فيه دين الله بالكلية، فأصبحنا نُحكم من داخل الشرق والغرب، من أمريكا وبريطانيا وروسيا، ودخلت الاشتراكية والديمقراطية والعلمانية، ودخلت أنظمة الكفر، وغيرت شرائع وشعائر الإسلام ومازلنا نعيش اليوم في هذا البلاء العظيم وهذه المرحلة الأشد صعوبةً، ورغم ذلك فإن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا أن الخلافة علىٰ منهاج النبوة قادمة بعد الحكم الجبري، وسيرجع بها الحق للعترة الطاهرة بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

(ج) ولاية الإمام المهدي:

مخالفة الولاية في عهد الإمام المهدي عليه السلام وحادثة الخسف بالجيش.

عندما تحدث الأحداث والصفات الزمانية والتي تدل علىٰ وقت ظهور المهدي عليه السلام سيرافقها أحداث كونية وآيات ربانية سيتفق حدوثها مع ظهور شخصية مباركة طاهرة من عترة آل البيت الأطهار فيها مواصفات خَلقية وخُلقية يكون لها شأن وتغيير واضح وتعديل مفاهيم مغلوطة وسيكون مُجَدداً وإماماً ومرجعية، حينها سيعمل علىٰ ظهوره رجال صادقون وعلماء ربانيون.

قد عرفوا حق الله وحق رسوله ﷺ وحق العترة الطاهرة فيمُن الله عليهم بأن يختارهم من بين عباده ويصطفيهم من بين خلقه لبيعة الإمام المهدي بين الركن والمقام. ولكن سيظل في الجانب الآخر مفسدون ينصبون العداء لآل البيت وينكرون لأهل الولاية ولايتهم، لا يقدرون للكتاب قدره، ولا يعملون بسنة سيد المرسلين، ولا يستوصون بوصيته في العترة الطاهرين، فيخسف الله بجيشهم بين مكة والمدينة لمخالفتهم وعدم ولايتهم لإمام العترة في زمانهم الإمام المهدي عليه السلام، قال ﷺ: **(يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من**

الأرض خُسف بهم. فقلت يا رسول الله: فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: **يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)**[1].

ورواه أبو هريرة موقوفاً عليه يقول: **(والله ليخسفن أو لا تقوم الساعة حتى يخسف بقوم ذوي زي ببيداء من الأرض)**[2].

وهذا فيه إشارة إلى اللباس الموحد المخالف للباس الناس كما هو حالنا اليوم مما يدل على أنه لباس العسكر، وستكون حادثة الخسف في عصرنا هذا.

(1) رواه مسلم.

(2) السنة الواردة في الفتنة، أبو عمرو الداني.

المحتويات